المشرق

رحلة
اول سائح شرقي الى امركة
(١٦٦٨-١٦٨٣)

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون ربّاط اليسوعي

توطئة

الشرقيُّون مغرمون بالاسفار . ذلك امر يشهد بهِ التاريخ القديم والحديث وتثبتهُ الرحلات العديدة التي الَّفوها واصفين بلادًا تكاد ان تكون مجهولة حتَّى في ايامنا لكننا لم نكن نعرف ان احدًا منهم ساح منذ قرنين ونيف في اكثر البلاد الامركيَّة وزار مدنها وولاتها وشعبها وتفقَّد احوالها ولم نعثر قطّ في المكاتب على ما يُستشف منهُ ذكر سياحة كهذه

ففي اواسط ايَّار من السنة الحاضرة بينا كنَّا نطالع المخطوطات المحفوظة في مطرانية السريان بحلب استافت نظرنا كتاب عربي عنوانهُ « سياحة الخوري الياس الموصلي » فاختلسنا اويقات الفراغ لقراءتهِ واخذنا العجب لمَّا رأينا كاهنًا شرقيًّا قد زار اكثر الانحاء الامركيَّة في القسم الثاني من القرن السابع عشر ووصفها وصفًا لا يخلو من اللذَّة فعوَّلنا على تعريف الكتاب ونشر اهمّ فصولهِ . ولمَّا عرضنا فكرنا على سيادة الحبر الجليل العلَّامة ديونيسيوس افرام نقاشه مطران السريان الكاثوليك في الشهباء اذن لنا باستنساخهِ ونشرهِ وكان قبولهُ لطلبنا شاهدًا لنا جديدًا على ما ازدان بهِ من لطف الشمائل وكرم الطباع الذكيَّة وامنى على همتنا كما اعتاد الثناء على كل عمل يؤول الى تعريف الشرق المسيحي ونشر تاريخهِ فليتنازل سيادتهُ ويتقبَّل خالص شكرنا

(تعريف السائح) هو الخوري الياس ابن القسيس حنَّا الموصلي الكلداني من عائلة بيت عموده . ولقد نظرنا في الكتب المطبوعة والمخطوطة التي بين ايدينا فلم نصل حتَّى الان الى زيادة تعريف . وليس في رحلتهِ ما ينبئنا بشيء عنهُ خلا انهُ ذكر ابن اخ لهُ اسمهُ يونان انجز في سنة ١٦٧٠

دروسهُ في عاصمة الكثلكة ومنها رجع الى حلب. فرجاؤنا من ذوي الخبرة ان يتحفونا بما يزيل الشبه عن صاحب الرحلة فنكون لهم من الشاكرين

(الرحلة) في سنة ١٦٦٨ سافر الخوري الياس الموصلي من بغداد لزيارة القدس الشريف وبعد ان قضى مدة في حلب ابحر من اسكندرونة الى البندقية وايطاليـة وفرنسة واسبانيـة والبرتغال وجزيرة صقلية ثم عاد الى اسبانية وركب البحر من قادس الى امركة فمرَّ على جزائر كناري ووصل الى قرطجنة في امركة الجنوبية بعد ٥٥ يوماً قضاها في البحر ثم ساح في جهات بناما ومنها تتبَّع المدن والقرى والمناجم غربي امركة الجنوبية فزار البلاد التي تدعى الان كولومبية وخط الاستواء والبيرو وبوليفية الى اعالي بلاد الحكومة الفضيَّة وشيلي. ومن هذه البلاد عاد على الاعقاب الى ليما من اعمال البيرو سنة ١٦٨٠ وهناك كتب القسم الاول من رحلتهِ. وما لبث ان سار الى البلاد التي يسميها ينكي دنيا اي المكسيك وامركة المتوسطة وبعد مدة قضاها في مكسيكو قفل راجعاً فركب البحر وعاد الى اسبانية فرومية وتشرَّف بمقابلة الحبر الاعظم . قال في ختام رحلتهِ: «فانعم عليَّ البابا اينوشنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن اهلاً لها. والحمد لله الى الابد امين». ولم يذكر سبب رحلتهِ جلياً لكنهُ يستشف من غضون كلامهِ انهُ ذهب ليجمع حسنات المسيحيين لفائدة اهل جلدتهِ والله اعلم

(صفات السائح) هو كاهن كلداني كاثوليكي ذو ايمان بسيط وتقوى صادقة قليل الالمام بالانشاء والكتابة فيكتب ما يراه ببساطة ودقة وصدق. وقد تتبَّعنا سفرتهُ على خارطة كبيرة فرأيناهُ لم يغفل بلدة ولم تخنهُ ذاكرتهُ الَّا نادراً. ولكن انشاءهُ ركيك ووصفهُ خالٍ من التفنن خلا بعض فصول وشذرات . ومع ذلك فقد قرأناهُ بلذَّة لما يذكر من الامور الغريبة والتنقلات من مكان الى مكان ومن حال الى حال. وفي كتابهِ اغلاط نحوية كثيرة اصلحنا اهمَّها تاركين لهُ سذاجة تراكيبهِ . ولا تخلو مطالعتهُ من فائدة يلذُّ بها السوريون المقيمون في البلاد التي زارها اعني وصف ما كانت عليهِ تلك البلاد ومقابلتها بما صارت اليهِ الان بفضل التمدُّن والدين. وكل يعلم ان الشعوب التي كانت في ادنى درجات الهمجيَّة اصبحت بفضل المرسلين في اعالي سلَّم الحضارة. وهناك فائدة اخرى للامركيين انفسهم فانَّ الرحلات وان لم تندر لكنها مع ذلك لا تشفي الغليل وقد قابلنا بين رحلتهِ ورحلة بعض معاصريهِ فوجدنا رحلتهُ اهلاً لان تنظم في مصافّها

(وصف الكتاب) هو كتاب مخطوط مجلد تجليداً قديماً طول الوجه ٢١ سنتيمتراً في ١٥ س عرضاً وفي كل وجه ٢١ سطراً. وهو مكتوب بخط جلي غير متقن يحتوي ٢٦٩ صفحة فمن ١ الى ١٠٠ رحلة المؤلف. يليها الى صفحة ٢١٤ سبعة عشر فصلاً نقل فيها الرحَّالة تاريخ افتتاح امركة واخبار ولاتها وشعوبها وليس في هذا القسم الثاني كبير فائدة وسكتفي بنشر الرحلة . ومن صفحة ٢١٤ الى الاخير رحلة سعيد باشا سفير الدولة العليَّة الى فرنسة في سنة ١١٣٢ هجريَّة وهي رحلة معروفة باللغة التركية والافرنسيَّة لم نجد ترجمتها العربية في غير هذا الكتاب

وليس الكتاب من خط المؤلف وهو خلو من تاريخ ينبئ بزمن نقلهِ امَّا عنوان الكتاب فهو: «سياحت (كذا) خوري الياس الموصلي وهو كتاب (وهنا محي الاسم وحكّ) لكنَّا قرأنا

« حنّا بن دياب الماروني في حلب » ويليهِ: « جبرائيل بن يوسف قرمز في ٥ كانون الثاني سنة ١٨١٧ »

ولا نعرف للكتاب نسخة أخرى في مكاتب اوربَّة ولعلَّ القرَّاء الكرام يعرفون منهُ نسخاً اكمل من التي بيدنا فلهم الشكر سلفاً عن كلّ افادة يتكرَّمون بها من هذا القبيل. وهذا بدء الشروع في ايراد السياحة التي نحن بصددها:

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

ديباجة الكتاب

الحمد لله الذي خلق البرايا بحكمتهِ. واخترع الموجودات بامرهِ وكلمتهِ. وصوَّر الانسان على شبههِ ومثالهِ. وسلَّطهُ على سائر المخلوقات بفضلهِ وانعامهِ. ونهاهُ عن ثمرٍ لا يأكلهُ لئلَّا يموت موتاً. فهذا المخلوق الضعيف لمَّا خالف امر خالقهِ واكل من المنهيّ عنهُ تجرَّد من النعمة التي كان متسربلاً بها وصار مطروداً مع ذرّيتهِ من فردوس عدن الى ارض الشقاء والحزن. الى ان تحنَّن عليهِ سبحانهُ وتعالى وشاء اعتاقهُ فارسل ابنهُ الحبيب الاقنوم الثاني وكلمتهُ الازليَّة الى بتول عذراء طاهرة واشرف المخلوقات وحلَّ في احشائها حلولاً لا يدرك ولبس منها جسداً كاملاً وصار انساناً ما خلا الخطيئة وتردَّد بين العالم وصنع الآيات بشفاء المرضى وقيام الاموات ثمَّ اختار لهُ تلاميذ اناساً سُذَّجاً صيَّادين وشرع لهم نواميس وقوانين وامرهم ان يجولوا بكل العالم ويبشّروا بكرازة الانجيل الطاهر قائلاً لهم (متّى ٢٨: ١٩): لمضوا واكرزوا وعمدوا باسم الاب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن. وقال لهم ايضاً (متّى ١٨: ٥): فمن قبلكم فقد قبلني. ووعدهم ايضاً عند صعودهِ انهُ يرسل لهم الروح المعزي ليمنحهم نعمة وحكمة. فبعد صعودهِ وجلوسهِ عن يمين الاب ارسل لهم الروح البارقليط فحلَّ عليهم كألسنة نار فصاروا يتكلّمون بسائر اللغات المختلفة فانتشروا في سائر اقطار المسكونة جائلين مبشرين بالانجيل وكانت آياتهم شاهدة لاقوالهم فقومٌ منهم حصلت لهم بلاد الشرق والبعض ذهبوا الى الغرب والبعض الى القبلة والبعض الى الشمال فثبت بهم قول داود النبي القائل عنهم (مز ١٨: ٥): في كل الارض ظهرت بشارتهم وسُمعت اصواتهم في اقطار المسكونة. كانوا عائزين منضاقين مطرودين محتورين

لابسين جاود الحملان (عبرانيين ١١ : ٣٧) وكانت اشعَّة انوارهم تشرق وتنير تلك الاقاليم المظلمة حتى انهم بكرازتهم طهَّروا المسكونة من عبادة الاوثان وارجعوهم من الضلالة والطغيان وأختاروا لهم تلاميذ واخلافاً وخوَّلوهم تلك المواهب وإنعام الروح القدس لكي يتولوا من بعدهم الرئاسة والتدبير جيلاً بعد جيل متداومين الى انقضاء العالمين

فامَّا الكنيسة المقدَّسة عروس السيد المسيح التي جُعل مار بطرس الصخرة رأسها ومدبرها من بعد صعوده المجيد · ومن بعده للذين يخلفونهُ فلم تزل تمدّ اطنابها وتتوسَّع اكنافها حتى انهُ لم يخلُ مكان واقليم من اربعة اطراف المسكونة الَّا وتجد فيه كرازة الانجيل وصحَّة الايمان المستقيم بين طوائف مختلفة ولغات متفرقة · وامَّا اللعين الثلَّاب · عدوّ الخير والثواب · فلم يزل مجتهدًا ومحترسًا على تزعزع ضمائر المؤمنين حتى يطغيهم ويطرحهم من احضان الكنيسة امهم · فنصب لهم شباكهُ وفخاخهُ وزرع في قلوب البعض منهم زوان الحسد والكبرياء والعصيان · حتى ان بعض طوائف الناس انكروا الطاعة للكنيسة الرومانيَّة ولرئيسها ومدبرها الذي هو الحبر الاعظم وراعي الرعاة العام · وجعلوا لهم رؤساء مختلفين مضادّين بعضهم بعضاً حتى انهُ تبارك وتعالى سلَّط عليهم اعداءهم فثبت قول السيد المسيح في انجيله المقدَّس على لسان مار لوقا البشير في الفصل الثاني والخمسين مخاطباً اليهود قائلًا (١ : اذا رأيتم ابراهيم واسحاق ويعقوب وكل الانبياء في ملكوت الله فها هوذا يكون الاولون آخرين والاخرون اوَّلين · فلمَّا تفرَّقت الطوائف المذكورة من احضان الكنيسة المقدَّسة شاء السيد المسيح ان يدخل عوضهم أناساً مختلفي الاجناس والطباع · غريبي الالسن واللغات قاطنين في البراري والجبال ساكنين بعيشة وحشيَّة لا فرق بينهم وبين البهائم معذَّبين ومنقادين بضلالة الشيطان فقومٌ منهم عبدوا الحجارة وطائفة عبدت الوحوش وآخرون عبدوا الاشجار وغيرهم كانوا يقدّمون ذواتهم ذبيحة للشيطان اللعين وكانوا ساكنين في الاقليم الرابع الذي كان مخفياً عن الابصار ومستورًا عن الافكار حتى انَّ القديس العظيم معلّم الكنيسة المقدَّسة مار اغسطينوس كان يظنّ انَّ هذا الاقليم هو غير مسكون من

١) متى ٨ : ١١ لا كما جاء خطأً · ولا عجب من تعيينه ٥٢ فصلًا في انجيل القديس لوقا لان تقسيم الفصول كان يختلف مع البلدان والازمنة الى ان انتشر التقسيم الروماني المعروف

البشريين . فسبيلنا ان نبرهن ونبيّن رجوع هذه الطوائف المذكورة الى الايمان الحقيقي واحتضانهم للكنيسة المقدّسة حتى ان كثيرين منهم بعد دخولهم في الايمان بالمسيح حُسبوا من جملة القديسين . وامّا هذا الاقليم الذي قصدنا التكلم عنهُ فهو ممتدّ الطول والعرض وهو اكبر من الثلاثة اقاليم الأُخرى المعروفة باسيا وافريكا واوروبا طولًا وعرضًا وقد جعلوا لهُ اسمًا جديدًا وسمّوهُ ميريكا مسلوبًا (١ وسوف نتكلّم عنهُ في مكانه ونحرّر سبب كشفهِ وبيانهِ ونرقم كل شيء في حينهِ واوانهِ . ونستعين بالله على الزيادة والنقصان والسهو والنسيان لانّ ذلك يوجد في كل انسان والحمد لله دائمًا الى الابد

كتاب سياحة

الخوري الياس ابن القسيس حنا الموصلي من عيلة بيت عمودة الكلداني

يخبر بهِ عن بلاد الهند المغرب وسبب فتح تلك البلاد من السبنيوليين وايضًا عمّا نظر بعينهِ في مدّة اثنتي عشرة سنة التي مكث فيها هناك في مملكة ينكي دنيا (٢ وفي بلاد البيروه (٣ وقد استخرج ايضًا من كتب تواريخ المعلمين المثبوتين بعض اخبار وترجمها من السبنيوليّة الى اللغة العربيّة (٤ بنظمهِ وترتيبهِ في تاريخ سنة الف وستماية وثمانين للمسيح في بلد ليما في البيروه

١) بقوله ان « اسم امركة مسلوب » يريد ان الاقليم الرابع الذي وصفهُ كان حقّهُ ان يُسمّى باسم مكتشفهِ كريستوف كولومب . قال في الصفحة ١٠٣ من هذا الكتاب حيث يذكر تاريخ الاكتشاف: « وكان في رفقة المكتشفين رجل اسمهُ ميريكو (Améric Vespuce) من بلاد ايطالية من مدينة فلورنسة وكان نوتيًّا في المركب ذا تدبير وعلم وعقل . فشخّص تلك الارض ونمودها على ورقة (خارطة) وعرضها على ملك اسبانية فحينئذٍ سُمّيت تلك الارض ميريكا . . . وبالحقيقة كان الواجب ان تدعى باسم كولون (كولومب) لانهُ كان المبتدئ والمجتهد في هذا الامر . لكن بعد ما انتشر هذا التكني في افواه الخلائق وشاع على مسامع الناس جميعًا لم يكن ممكنًا ان يتغير فبقيت تسمّى ميريكا »

٢) ينكي دنيا كلمة تركية معناها العالم الجديد وقد اراد المؤلف بهذا الاسم بلاد المكسيك وضواحيها التي كانت تسمى اسبانية الجديدة ومعلوم ان الثمر المعروف عند الافرنج باسم nèfles (du Japon) يسمّى عندنا ينكي دنيا نسبةً الى اصلهِ الاميركي

٣) البيروه (Pérou) بلاد معروفة في امركة الشمالية

٤) قسم المؤلف رحلته الى قسمين ذكر في الاول سفره من بغداد الى بلاد الفرنج وبلاد امركة وعودته الى اوربة وهذا ما عنينا الان بنشره . وفي الثاني وصف في سبعة عشر فصلًا تاريخ اكتشافها واخبار ملوكها القدماء والفاتحين لها من الاسبانيين متتبعًا الاخبار نقلًا عن التواريخ الاسبانية ويتلخص بالايجاز مجموع اخباره . وقد كتب هذه الاخبار في ليما عاصمة البيرو كما جاء في المتن سنة ١٦٨٠ لكنهُ اعاد فيها النظر وزاد عليها ما جرى لهُ حتى عودته الى اوربة

١ من بغداد الى البندقية

فاقول انا الحقير في الكهنـة اني في تاريخ سنة الف وستماية وثمانية وستين للسيد المسيح خرجت من مدينة بغداد قاصداً زيارة قبر المسيح في رفقة الطوبجي باشي المسمَّى ميخائيل آغا (١ ثم اننا سرنا في درب العقر. ففي نصف الدرب خرج علينـا لصوص مقدار مائة نفر وصـار بيننا حرب فظفرنا بهم. وكان ذلك نهار عيد القيامة. ونحن كان عددنا اثني عشر نفساً. لكن بقوَّة آلات الحرب من التفنك (٢ انتصرنا عليهم. ومن هناك اخذنا دربنا وسرنا الى مدينة الشام ومن الشام قصدت القدس الشريف وتشرَّفتُ بزيارة تلك الاماكن المقدَّسة

ثمَّ ذهبتُ الى مدينـة حلب. وبعد ايام انحدرت الى ميناء البحر الذي يسمَّى اسكندرونة فمن هناك ركبت في مركب انكليزي وسرنا قاصدين بلاد اوروبَّة. فجزنا الى جزيرة قبرص وهناك زرت قبر القديس عازار واختـه مريم ومرتا (٣ ومن هذه

١) ننقل عن الصكوك والاوراق الخطيـة المحفوظة في مكتبتنا ما نعرفهُ عن هذا الرجل: هو مخائيل كوندوليو (Condoleo) طوبجي باشي او مدير الطوبخانات الشاهانيـة في الشام وحلب وبغداد الخ. ولد في كريت وسكن دمشق الشام وكان يجول في البلدان بامر الحكومة السنيـة ليتفقد احوال الطوبخانات وقد ذكره مراراً المرسلون في رسائلهم لِما كان عليهِ من الثبات في الدين الكاثوليكي والغيرة المسيحية وكان لهم اعظم نصير بالمساعدة المادية والادبيَّة وكان كثير الثروة واسع الجاه متقد الغيرة. وقد ذكره بالثناء مراراً الاب يوحنا اميو Amieu رئيس الرسالة اليسوعية سنة ١٦٤٦ وألمح الى اسفاره الى بغداد. وكان لمخائيل آغا اولاد وكلَّ جم الاب هيرونيموس كيرو (Queyrot) المرسل اليسوعي في دمشق الشام ليتلقنوا منهُ التعليم المسيحي والعلوم الادبيَّة ويدرسوا اللغة اليونانية التي كان يلقّنها عندئذٍ الاب كيرو المذكور لتلامذته العديدين من الروم الملكيين

٢) التفنك كلمة تركية معناها قصبة ثم جرى استعمالها باللغة التركية والعربية في حلب وما بين النهرين بمعنى البارودة او البندقية وهذا المعنى دارج في البلاد الداخلية الى الان

٣) يعرف القرَّاء ان مكان قبر مريم المجدليـة ومرتا ولعازر من المشاكل التاريخية التي لا يزال المؤرخون يتباحثون في حلّهِ فالفرنساويون وسكان اقليم پروفنسة خاصةً يذهبون الى انهم عاشوا بعد قيامة المخلص وماتوا في ضواحي مرسيلية ودفنوا على قُلَّة يحجُّ اليها الزوَّار متبركين وهي قلَّة سنت بوم (Sainte-Beaume) امَّا سائر المؤرخين لاسيَّما المحدثين فانهم ينكرون حقيقة هذا الخبر ولا يسلمون بهذه الذخائر. ومن البراهين التي يثق بها الفرنسويُّون تقليد يعزونهُ الى رهبان جزيرة قبرص جاء فيهِ ان مسيحيي الشرق يعتقدون نقلاً عن تقليد قديم انَّ لعازر ومرتا ومريم دُفنوا في ضواحي مرسيلية وقد ذكر العلماء البولنديون في المجلد الخامس عشر بتاريخ ٢٢ تموز هذا الراي استناداً الى رسالة بعث بها الاب يوسف بسَّون (Besson) اليسوعي بتاريخ ١٧ نيسان

الجزيرة رحانا · وبعد ايام جزنا على جزيرة قريطش التي تسمَّى كريد · ومن هناك وصلنا الى جزيرة زانطية وهي في حكم البنادقة مع جزيرتين أُخريين قريبتين منها تسميان كورفو وسافولونية وهي ايضاً في حكم البندقية التي تسمَّى باللسان التركي واناديك (١ المعروفة في كل الدنيا ومن هناك سرنا

وبعد ايَّام عبرنا الى ميناء البندقيَّة المذكورة · وكانت عدَّة الايَّام التي بقينا فيها على وجه البحر سبعين يوماً من خروجنا من اسكندرونة الى أن دخلنا الى هذا الميناء (٢ ثم اخرجونا من المركب وجعلونا في بيت التطهير الذي يسمَّى نازاريت (٣ باللسان الطلياني فمكثنا هناك واحداً واربعين يوماً كالرسوم · وهذا نازاريت هو خارج عن المدينة وذلك عادة في بلاد النصارى خوفاً من الطاعون · ففي تمام الواحد والاربعين يوماً اتى الحكيم باشي لينظرنا هل بيننا احد مريض · فبعد ذلك اعطونا دستوراً ان نخرج من نازاريت · فخرجنا ودخلنا الى البلدة المذكورة وبقيت هناك عشرين يوماً متنزهاً وزرت كنائسهم والغنى الذي نظرتهُ في كنيسة مار مرقس الانجيلي (٤ هو شيء لا يوصف

ثمَّ من بعد تلك الأيَّام توجهت الى مدينة رومية العظمى وسكنتها ستَّة اشهر وزرت الاماكن المقدَّسة خصوصاً كنيسة مار بطرس الرسول الفريدة في المسكونة لحسنها · وبعد ذلك خرجتُ قاصداً بلاد فرنسة فمريت على ارض امير يسمَّى كان دوكه

١٦٦٠ الى الاب دي غوردان رئيس اليسوعيين في إس (Aix-en-Provence) لكننا نرى رحّالتنا يذهب مذهباً آخر يتناقلهُ اليوم اهل قبرص الروم وهم يكرّمون قبر القديس لعازر في كنيستهم الكبرى · والله اعلم بالصواب

١) واناديك اسم البندقيَّة او ڤينيسية بلغة التركيَّة

٢ كانت السفن في القرن التاسع عشر تقطع واسطة المسافة بين اساكل سوريَّة والبندقيَّة بثلاثين يوماً وقد كانوا يبلغونها بخمسة عشر او عشرين يوماً اذا ساعدتهم الريح لكن العواصف والحاجة الى الوقوف في موانئ جزائر البحر المتوسط كثيراً ما كانت تؤخر وصولهم الى شهرين او اكثر

٣ نازاريت بالطلياني (Lazaretto) والفرنساوي (Lazaret) المكان الذي فيه يقضي القادمون من البلاد الموبؤة حجرهم الصحّي مدَّة اربعين يوماً والكلمة مشتقَّة من اسم لعازر (Lazare) وبهِ سمّيت في الاجيال المتوسطة مآوي المصابين بالبرص فيكون معناها الاصلي مستشفى البرص (Léproserie) وكان هذا المستشفى خارج البندقيَّة يُدعى سانت ماري دي نزارت (Ste Marie de Nazareth) ولهذا سماهُ المؤلف نازاريت لا لازاريت

٤ هي الكنيسة الكاتدرائيَّة الشهيرة في البندقيَّة

توسكانا (١ وهو يسكن بلد فلورنسة . وهذا الامير هو غني جدًا ذو مال وخزائن . ومن فلورنسة انحدرت الى ميناء البحر الى بلد تسمَّى ليغورنة من حكم هذا الامير المذكور . وبعد ايَّام قليلة سافرت الى بلد جينوا ميناء البحر وهي تحت حكم امير يحكم على ذاتهِ . وهذا البلد شريف بالعمارات غني بالاموال

٣ سياحته في فرنسة

ومن هناك ايضًا سافرت في البحر فوصلت الى ميناء بلد مرسيلية من حكم فرنسة ثمَّ خرجنا الى الارض ومشينا الى مدينة اوينيون التي هي تحت حكم سيدنا البابا (٢ وهذه البلدة هي في فرنسة لكن ملوك فرنسة القدماء كانوا اهدوها مع بعض قرى الى كنيسة مار بطرس . ومن هناك ركبنا في سفينة على النهر والخيل كانت تسحب السفينة ضدَّ جريان الماء . فوصلنا الى بلد ليون وهذا البلد من اعظم بلاد فرنسة من بعد مدينة باريس بلد ملك فرنسة

ثمَّ اني اجتمعتُ هناك مع رجل قديس يسمَّى موسيو بكيت (٣ فهذا الرجل

---

١) وبالفرنسية (Le Grand Duc de Toscane) وكان اسمهُ اذ ذاك الدوك فرديناند الثاني (١٦٢١–١٦٩٠) وكان لامراء توسكانا قناصل في حلب والاساكل في ذلك العهد

٢) مدينة افينيون وما حولها من القرى اشتراها البابا اكليمنضس السادس من حنَّة ملكة صقلية وكونتس پروفنسة سنة ١٣٤٨ واقام فيهِ الاحبار الرومانيون من سنة ١٣٠٩ قبل مشتراها الى سنة ١٣٧٧ ولبثت بعد ذلك تحت حكم الاحبار الرومانيين يدبر شؤونها باسمهم نائب رسولي الى زمن الثورة الافرنسيَّة فاغتصبها الثائرون سنة ١٧٨٩ وتملكوا عليها

٣) فرنسوا پيكت او پيكه (François Picquet) ولد في ليون ١٢ نيسان ١٦٢٦ وجعل قنصلًا لدولة فرنسة ومولندة في حلب سنة ١٦٥٢ حيث عاش عيشة تقويَّة مثال الفضيلة والغيرة وخدم الدين والدولة احسن خدمة واشتهر بمساعدتهِ للكاثوليكيين نخصّ بالذكر ما صنعهُ لاقامة اندراوس بطريركًا كاثوليكيًا على السريان . وقد اجمع المرسلون والشعب على حبهِ واكرامهِ لما ازدان بهِ من السجايا . وفي سنة ١٦٦٢ عاد الى بلاده فاقام فيها ثماني سنوات ثم سيم اسقفًا على سزاربوليس (Césarople) ثم على بابل ونائبًا رسوليًا على العجم واختارهُ لويس الرابع عشر سفيرًا لهُ لدى جلالة شاه العجم فعاد الى سوريَّة ومنها ذهب الى العجم حيث خدم الكنيسة والشرق المسيحي خدمة مشكورة . توفاه الله في مدينة همذان من اعمال العجم في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥. (اطلب حياتهُ باللغة الافرنسيَّة Vie de Messire F. Picquet par Mgr. d'Antelmy évêque de Grasse) اطلب ايضًا كتابنا الافرنسي المعنون (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, t. I. chez A. Picard et fils à Paris, Luzac et Co. à Londres et Harrassowitz à Leipzig.) صفحة ٩٦ و١٠٢ و١٠٤ الخ)

الشريف كان سابقًا قنصلًا في حلب وبعد رجوعهِ من حلب ارتسم اسقفًا على مدينة بغداد وكانت وفاتهُ في العجم في بلد امادان (١٠ وما لنا زمان لنتكلّم عن فضائلهِ وحسن سيرتهِ. ثم بعد أيامٍ خرجتُ من ليون وسرت الى مدينة باريس تخت ملك فرنسة فدخلتها ورحتُ زرت الملك المنصور لويس فاكرمني ثم اني زرت اخاهُ امير اورليانوس (Duc d'Orléans) واهديته سيفًا وقدّست لهُ في الكنيسة التي في سرايتهِ. فاكرمني زائد الاكرام. ثم رحت زرت اميرًا يسمّى سانتينيان (S[t] Aignan) ودفعت لهُ مكتوبًا كان اعطاني اياه عمهُ البادري حنّا الراهب الكبوجي (٢ الصالح الذكر الذي كان رئيسًا في حلب فعمل لي عزًا واكرامًا جزيلًا لاجل وصيّة عمهِ البادري المذكور

ثم اني ترات في المكان وبقيت اتنزّه في هذه البلدة العظيمة التي لا مثيل لها في كل الدنيا بحسنها وعدالة حكمها واستقامة شرعها وزيادة محبّة اهاليها للغرباء. وقد نظرت امرًا يستوجب الذكر والمدح لفعلهم هذه الخيرات والاحسان وذلك عدّة نساء عددهنّ سبع عشرة امرأة من الاشراف بعضهنّ عذارى وبعضهنّ ارامل. اما العذارى فقد ترهبنَ عن الدنيا وتركنَ كل ما لهنّ في الشركة المباركة وتسمّى هذه الشركة باللسان الفرنساوي شاريته (charité) (٣ اعني مجمع الخيرات. هذا قد أسّسوهُ من القديم. وايضًا الارامل قد تركنَ مقتناهنّ في هذه الشركة. وجميع هذه الاموال التي قد اوقفنها الى هذا المجمع هي مؤمّنة عند اناس الربح (٤ وفي كل سنة تربح مليونين اي عشرين كرّة من المال. ثم تجتمع هؤلاء النساء المباركات في الجمعة مرّة ويقسمنَ هذه

---

١) يريد همذان من حواضر العجم

٢) هو الاب يوحنّا دي سنت ايتيان (Jean-Baptiste de S[t] Aignan) الكبوشي كان مرسلًا تقيًا وغيورًا خدم الكنيسة في رسالة حلب والموصل سنين طويلة باجتهاد لا يعرف الملل وكتب معاريض لا تزال محفوظة في مكاتب باريس وقد استنسخنا بعضها. ومن معاصريهِ الكبوشيين الغيورين الاب سلفسترس دي سانت اينيان ونظنهُ اخاه. وقد وجدنا توقيعهما مرارًا في الرسائل المقدّمة للكرسي الرسولي وللوزارة الافرنسيّة مع توقيع الاب نقولا بوارسون Poirresson رئيس اليسوعيين ومع رؤساء الكرمليين الاب يوحنّا بطرس والاب يوسف ملاك

٣) هي جمعيّة راهبات المحبّة التي اسّسها القديس منصور دي بول فانتشرت في كل انحاء المسكونة معطرة الغرب والشرق بعرف فضائلها وخدمتها للمساكين

٤) يريد المصارف

الدراهم المذكورة على الفقراء والمحتاجين وعلى الكنائس والاديرة وايضاً على المرضى والغرباء وعلى الذين يكرزون بايمان المسيح في بلاد الشرق . وايضاً ينقدن لبعض بنات فقراء ويزوّجنهنّ من هذه الصدقة . ونظرت اشياء كثيرة واجبة للمدح والوصف في هذه المدينة العظيمة .

ثمَّ وفيما انا هناك والّا اقبل قاصد من عند السلطان محمَّد خان الى الملك لويس وهذا القاصد يسمَّى باللسان التركي والفارسي ايلجي (١ فانا رحت زرت هذا الايلجي عدّة مرار لاجل اللسان التركي ثم طلب مني ان ابقى في باريس ولا اروح فبقيت ثمانية اشهر

٣ اسبانية ايطالية

ثمَّ بعده خرجت من هناك قاصداً بلاد اسبانية فجزت على بلد عظيم يسمَّى اورليانوس (Orléans) ومن هناك رحت الى مدينة تسمَّى بوتراس (٢ ومن هناك الى مدينة بواتيه ومنها الى مدينة تسمَّى بورديوس (Bordeaux) التي هي على شاطئ نهر كبير . وقد قطع الملك لويس المذكور الجبال وخلط البحرين في بعضهما واصبحت المراكب تسير بسهولة في هذا النهر المذكور من بحر الاوقيانوس الى بحرين ارضيين (٣

ومن هناك سافرت الى اسبانية وجزت على بلاد وقرى لا تحصى حتى بعد اثني عشر يوماً انتهيت الى نهر وهذا النهر هو الحدّ بين حكم فرنسة واسبانية وهناك قلعة تسمَّى سان جوان دي لوا (St Jean de Lux) من حكم فرنسة

---

١) هذا السفير العثماني هو سليمان آغا سفير السلطان الاعظم محمد الرابع وصل الى طولون في ٤ آب سنة ١٦٦٩ حاملًا رسائل جلالة السلطان الاعظم الى الملك لويس الرابع عشر فسار في موكب عظيم الى باريس وقابل المسيو دي ليون وزير الملك ثم حظي بمقابلة الملك في حفلة عظيمة . وبقي في باريس مدّة كان فيها المسيو دارفيه (d'Arvieux) رفيقاً له . اطلب Vandal : Mis de Nointel p. 24 et Mémoires d'Arvieux t. IV

٢) لا نعرف مدينة اسمها بوتراس بين بوردو وبواتيه ان لم يكن تصحيف تور (Tours) او امبواز (Amboise) او بلوا (Blois) فهذه المدن الثلاث على شاطئ نهر اللوار على طريق سائحنا من بوردو الى بواتيه

٣) يشير الى الاشغال التي أُنجزت بامر لويس الرابع عشر ليسهل على السفن العبور في نهر الجيروند (Gironde) وقد جمع بين ذراعي النهر الممتدَّين حول الارض المسماة « ما بين البحرين » « Entre-deux-mers »

ثم جزنا النهر ووصلنا الى قلعة من حكم اسبانية تسمّى فونته اربيا (Fuenterabia) وجانبها بلدة صغيرة تسمى ايرون (Irun) ومن هنــاك قصدت بلدة تسمّى سان سبسطيان وهي ميناء في البحر الغربي ومن هناك سافرت في الارض الى مدريد تخت ملك اسبانيــة وعبرت على بلدة تسمّى بوركوس (Burgos) ونظرت هناك ديرًا لرهبان مار اوغسطينوس وكان في كنيستهم مذبح فيهِ صلبوت السيد المسيح الذي يسمى في اللســان السبنيولي كريستو ده بوركوس (Cristo de Burgos) (١ ويظهر منهُ عجائب كثيرة وايضاً نظرت هنــاك في دير الراهبات قبر ملك سيس الارمني (٢ الذي كان يسمى اوانيسي تاكا (?) وكتابة قبرهِ باللسان الارمني . ثمَّ من هناك سافرت وجزنا على مدن وقرى لا تحصى حتى اني وصلت الى مدريد تخت الملك ففي ذلك الحــين كانت تحكم الملكة امرأة الملك (٣ فيليبه الرابع لانهُ كان قد توفي الملك وخلف ابناً صغيرًا يسمّى كارلوا الثاني . ثم اني قدّمت لها مكاتيب البابا اكلمندوس التاسع فأمرت ان يعطوني الف غرش (٤ من حاكم سيسيلية والف غرش من حاكم نابولي ثم اني اخرجت من يدها امرًا على تحصيل الدراهم

فخرجت من مدريد قاصداً ارض ايطالية . فدخلت الى كورة اراكون (Aragon) ووصلت الى بلد تسمّى سراكوزا (Saragosse) حيث يتوّج ملوك اسبانية . . . حينئذٍ نظرت هناك اخا الملك يسمى دون خوان ده اوستريا . وهو اخ طبيعي لهذا الملك ثم زرتهُ فاكرمني . ومن هناك سافرت قاصدًا البحر . فوصلت الى مدينــة تسمى برسلونا (Barcelone) وهي من كورة كاتالونية (Catalogne) وهي ميناء البحر الشرقي فسافرت منهــا في البحر مع جكتريات (٥ ملك اسبانية وبعد يومين عبرنا الى ميناء

١) هو الصليب المنسوب الى القديس نيقوديموس ويكرم في اسبانية من عهد قديم

٢) لا نعرف عن هذا الملك شيئاً

٣) اي حنَّة النمساوية (Marie - Anne d'Autriche) امرأة فيلبس الرابع المتوفى سنة ١٦٦٥ وكان لكارلوس الثاني ابنهِ اربع سنوات فقط فاقيمت امهُ على ادارة المملكة لكن جوان (Juan d'Autriche) اغتصبهــا الادارة مدَّة ولمَّا مات عادت المملكــة الى الحكم الى ان بلغ كارلوس اشدَّه

٤) كان الغرش عندئذ يعادل الدينار (écu) قيمةً

٥) جكتريه او بالحري جكدريه كلمة تركية معناها السفن

تسمى كاتاكيس (Cadaquès) حيث يخرج المرجان . وبقينا هناك خمسة وعشرين يومًا بسبب العواصف الكائنة في البحر في الكولفو ده ليون (Golfe du Lion) لانَّ الجاز من هناك خطر عظيم

ثم بعد زمان نهار الاحد قدَّسنا وأقلعنا وفتحنا الشراع وسافرنا . فبعد يوم وليلة جزنا ميناء طولون من حكم فرنسة ومن هناك سافرت الى رومية فنظرت ابن اخي الشمَّاس يونان (١ قد ختم قراءتهُ في المدرسة وهو قاصد ان يخرج من رومية ويرجع الى البلاد بعد ان جهزهُ المجمع المقدَّس من كتب واشياء أُخر لازمة . ومن هناك وصلت الى نابولي وقدَّمت امر الملكة الى وزيرها الذي كان يحكم هناك الذي يقال لهُ وي ارلي (٢ فقرأهُ وجاوبني قائلًا: اذهب الى سيسيلية وحصل الالف غرش فسافرت الى جزيرة سيسيلية ودخلت مدينة تسمى باليرمو (Palerme) حيث وزير الملكة الحاكم الذي يقال لهُ ايضًا وي الري. فعرضت عليه الامر ان يعطيني الالف غرش فوعدني انهُ يعطيني ايَّاها . وبعد شهرين قال لي: لا اقدر اعطيك . ثم اني ارسلت من هناك الشماس يونان ابن اخي الى حلب. واما انا لمَّا نظرت ان ليس لي رجاء من هذا القاسي القلب ان يعطيني الالف غرش بعد تعب القلب الذي حصل لي في سفرتي رجعتُ الى نابولي لاحصل الالف غرش الاخرى من الوزير الاوَّل مثل ما كان وعدني فهذا ايضًا جاوبني قائلًا ما اعطى حاكم سيسيلية الالف غرش ولا انا اعطي شيئًا ولا عندي دراهم

ثم اني رجعت مرَّة أُخرى الى اسبانية خائب الرجاء حتى ارجّع الامر الى الملكة فرجعت الى رومية ومنها الى ميناء ليغورنة وركبت في البحر ووصلت الى مدينة برسلونة المذكورة . ومنها جئت الى سراكوزا ورأيت هناك اخا الملك المذكور فاخبرتهُ بما جرى لي من الاتعاب والخسائر لانّي صرفت لوبعمائة غرش في الرواح والمجيء . فشقَّ ذلك عليهِ وكان صحبتي واحد رومي من اولاد حلب يخدمني اسمهُ يوسف القتَّال . ثم اني رجعت الى مدريد وعرضت حالي على الملكة فصعب عليها ذلك بسبب عدم قبول امرها ثم بعد اني ارجعت لها امرها خرجت من مدريد قاصدًا بلاد البرتكال . وفي ذلك الزمان كان ملكهم موجودًا في جزيرة تسمى ايزلا ترسيرا (Isola Terceira)

---

١) لا نعرف شيئًا عن هذا الشماس ونظنهُ درس في مدرسة البروباغندة

٢) وبالاسبانيَّة (Vey El Rey) اي نائب الملك (Vice-Roi)

وذلك لعدم نسلهِ بعد ان ثبتت معهُ امرأتهُ ثلاث سنين . واما هذه الشقيَّة فكانت فرنساويَّة وزوجها الاوَّل كان يسمى الملك دون الونصو Alphonse) VI (ولكن هذا زوجها الثاني فكان يسمى دون بيدروا Don Pedro فمع انهُ جلس في مكانهِ لكن لم يسمُّوهُ ملكًا لكن اميرًا بسبب ان اخاه كان باقي في الحياة . وبعد ان تزوَّجها رُزق بنتًا . ثم اني ذهبت الى عند هذا الامير وتكلَّمت معهُ وبقيت في هذا البلد سبعة اشهر وزرت جميع كنائسها وديورتها واماَّ سكَّان هذه البلدة فنهم أُناس اجواد كرما. وكاثوليكيُّو الايمان . وايضًا يوجد هناك نصارى جدَد وهم من ملَّة اليهود المتنصرين وهم معلومون عند الكل وما يتزوَّجوا من النصارى القدماء. والبعض منهم بالحقيقة ناكرو دين المسيح . فلمَّا يتحقَّقون امرهم انهم كذلك يحكم عليهم ديوان الايمان بالحريق . واماَّ هذه المدينة ليزبونا (Lisbonne) فهي مينا. البحر. ومنها تسافر المراكب الى هند الشرق الى بلاد كووا التي من حكم البرتكال

٤ اهبة السفر الى اميركة

وبعد ان بقيت هناك سبعة اشهر رجعت الى بلد مدريد المذكورة وسكنت في دار امير يسمى الدوكه ده اوبرو . وصار لي من هذا الرجل ومن بقيَّة الاصحاب اكرام زائد واحدى السيدات تسمى ميركيزا ده لوزوبلس التي ربَّت الملك عملت لي اكرامًا عظيمًا وطلبت من الملك دستورًا ان أقدّس لهُ فكان معي شماس رومي وكنت علَّمتهُ يخدم قدَّاسي . فدخلت كنيسة الملك وقدَّست امامهُ وامام والدته ثم بعد ذلك امرت الملكة مربية الملك ان تسألني اي شيءٍ اطلب حتى تهبني . فاخذت منها مهلة ورحت شاورت بعض الاصحاب فأشاروا عليَّ ان اطلب اجازةً وامرًا قاطعًا حتى اتوجه الى بلاد هند الغرب (١ فصعب عليَّ هذا الامر لكن جعلت الحملة على الله واتكلت عليهِ وطلبت الامر . لانهُ لا يقدر غريب ان يجوز الى بلاد الهند ان لم يكن معهُ امر من الملك . وكان في ذلك الزمان النونسيو الذي هو رسول البابا في مدريد يسمى الكردينال ماريسكوتي . وهذا المبارك ساعدني بنصائح

ثم اني اخرجت الامر من الملكة ففرح بعض الاصدقاء لهذه النعمة التي انعمت بها عليَّ . فاماَّ الامير الذي كنت نازلًا عندهُ في الدار فجهزني بكل ما احتاجهُ في السفر

١) كانوا يسمون بلاد اميركة الهند الغربية ليفرقوها عن الهند الشرقيَّة

واعطاني مكاتيب وصيّة الى بعض اصدقائه والامر الذي اخرجته من الملكة كان وصيّتها عليّ الى الوزير والى المطارنة والاساقفة والحكّام في كلّ بلاد الهند على مساعدتي. ثم اني تقوّيت بالربّ واعتصمت باسم والدته مريم العذراء وخرجت من مدريد قاصداً مدينة قادس (Cadix) التي هي ميناء على البحر المحيط . فمن بعد سفر اثني عشر يوماً في البرّ دخلت اليها فرأيت مراكب الهند مهيئة ومستعدّة للسفر. وفي هذه الاسكلة يقام ديوان مدبري المملكة فقدّمت امر الملكة فسجّلوه لي واعطوني امراً ثانياً بوجبه

ولمّا كان اليوم الثاني عشر من شهر شباط سنة الف وستماية وخمس وسبعين من المسيح قدّمت امري مع المكاتيب الى جنيرال الغلايين (١ دون نيقلاوس ده كوردووا. فحيّني واستقبلني بكرامة عظيمة واعطاني كامره اي اوضة في مركبه فادخلت حوائجي في الاوضة وقفلت الباب. وهذا الغليون هو الرئيس على سائر الغلايين . وقد اخذت معي من قادس شاباً من طائفة الروم مولوداً في اثينس لاني ما وجدت احداً من ملّتي ومن اولاد بلادي . فصار عندي ندم عظيم بسبب اني كنت سرّحت ابن اخي الشماس يونان الى بلاد الشرق. ولكن ما عادت الندامة تفيد فنصحني البعض من الاصحاب قائلين لي ان هذا الرومي عند وصولك الى بلاد الهند سوف يتمرّد عليك ويخرج من عندك . فعند وصولي جرى لي كقولهم

ثم اننا في ذلك اليوم المذكور قلعنا ونصبنا الاقلاع وسرحنا . وكان عدد الغلايين ستّة عشر غليوناً . فتودّعوا من الاسكلة بضرب المدافع ودقّ الابواق ونصبوا الاعلام والرايات (لها بقيّة)

سويسرة افريقية او بلاد منليك

بقلم جناب عبدالله افندي مخائيل رعد الصيدلي القانوني في بلاد الحبشة (تابع لما سبق)

٦ القسم الادنى من الحبشة او البلاد الحارّة

تتألف بلاد هذا القسم من الفلوات الواسعة والسهول المنبسطة والصحاري الفسيحة الفاصلة بين الحبشة والسودان من الشمال والغرب وبينها وبين الكونكو جنوباً والاوغادن

---

١) جمع غليون اي السفن (Galion)

شرقاً وقد ذكرنا معظمها في رحلة الفيكونت دي بورج دي بوزاس (راجع المشرق ٧ : ٢٠٢ وما يليها) فلا حاجة بنا الآن الى الاسهاب . امَّا هذا القسم من الحبشة فيجري فيهِ الانهر العظيمة الزاخرة منها نهر « وابي » و « ويبي » و « اومو » و « كيناني » و « النيل الازرق » و « باروسوبات » و « يوبا » وغيرها اكثرها كبيرة جداً وعرض مجراها يتجاوز الكيلومتر في بعض الاحايين واغلبها تسحب في مجراها رملاً ذهبياً يرسب في القاع فينتشلهُ الاهلون ويغسلونهُ ويستخرجون منهُ الذهب الخالص المعروف بالذهب الحبشي لاختلاف لونه عن لون الذهب الترنسفالي والاوسترالي ميلاً الى الصفرة

احواض هذه الانهر كثيرة الخصب لكنَّها وبيئة الهواء في تلك النواحي من جراء الحرّ ورطوبة الجوّ ووجود المستنقعات العديدة وهي مـا عدا ذلك ممتلئة من الوحوش الضارية كالتماسيح وافراس الماء ووحيدة القرن والفيلة والاسود وغير ذلك . حتى ان بعضها لا يستطيع ابن آدم السكنى فيها لانها فضلاً عمَّا ذُكر لا يطاق حرّها اذ ان الدرجة الثرمومترية تبلغ فيها ٧٥+

ينبت في اراضي هذا القسم كثير من النبات الذي اتينا على ذكره في القسم الاوسط كالتين البرّي والاكاسيا والميموزا والموز والكوباوي وغيرها . امَّا الانواع المختصَّة بهذه المنطقة فمنهُ خصوصاً شجرة الكوباوي (balsamodendron copahufera) التي يقطر منها البلسم المعروف بهذا الاسم بين الموادّ الطبيَّة وشجرة النيل (indigotier: indigofera tinctoria) وانواع اشجار الكاوتشوك والپاپيروس الذي يُعمل منهُ في الصين واليابان ورق جميل والتمر الهندي والحنَّاء والموسنَّا (musenna: acacia anthelmintica) والسپارمانيا الحبشيَّة (sparmannia æthiopica) وهذان يستعمل قشرهما في الطبّ لطرد دود البطن والانكوكو (brucea antidysenterica) ومن خواصّه قطع الديسنتيريا كما يعرّفهُ اسمهُ . امَّا الشجرة التي تستجلب نظر المسافر ودهشتهُ انَّما هي شجرة الباوباب (baobab: adansonia digitata) وهي شجرة غريبة في بابها يدعوها بعضهم فيل الملك النباتي . طول جذعها لا يزيد على ثلاثة او اربعة امتار فقط وانَّما دائرتهُ تدنف على الخمسة وعشرين متراً وفي اعلى هذا الجذع الضخم تخرج الاغصان كاكليل افقيّ الميل وبرأس كل فرع بعض من الاوراق على شبه الدائرة . امَّا زهورها فهي ضخمة جداً وناصعة البياض وثمرها بحجم اللقطينة الصغيرة وهو حلو الطعم به شيء من الحموضة

وقد شوهدت واحدة من نوع هذا الشجر وكان قلبها اجوف بعد شيخوختها (والله اعلم كم كان لها من العمر) قد اقتلعتها شدَّة العواصف اذ لم يبقَ رمق حياة في أُصولها فكان يأوي اليها الرعاة مع قطعانهم الكثيرة

حرارة بلاد هذه المنطقة شديدة كما ذكرنا فويق هـذا وانَّما درجة هذا الحرّ تهبط جدًّا بعد الغروب بنوع انَّ الانسان يرتجف بردًا بعد غياب تلك الشمس التي تكون قد احرقتهُ اشعَّتها الملتهبة في النهار. وزد على ذلك وخم الهواء معظم هـذه الجهات . فيجب على المسافر ان يتحاشى بقدر استطاعتهِ احواض الانهار فانَّ الابخرة فيها وبائيــة قتَّالة ينبعث منها جراثيم الحمَّيات بانواعها والديسنتيريا وامراض العيون. واذا اضطرَّ ان يمرَّ فيها فليكن مكثهُ قصيرًا ومرورهُ سريعًا حتى يصل الى المحلَّات المرتفعـة والبعيدة عن الماء فيضرب عندئذٍ خيامهُ ناعم البال ويستريح

امَّا عن صعوبة الحصول على المؤونات في هـذه الاراضي فحدّث ولا حرج إنْ في الجهات التي يسكنها الاحباش او حيث تقطن عشائر الكَالَّا. وهذا ممَّا يجعـل السفر شديد المشقَّة على الذين يتعاطون الرحلات العلميَّـة او السياحات او صيد الوحوش النادرة فانهم لا يجدون طعامًا ولا من يبيعهم شيئًا حتى ولا خبز الذرة لخدَّامهم وعساكرهم لانَّ السكَّان لا يعملون من هذا الخبز في كل مرَّة الَّا ما يكفي لوقعةٍ واحدة من طعامهم . وكذلك طحينهم فانهم يحضرون منـهُ كفاية يومهم لا غير. لذلك يلتزمون ان يجرّوا معهم على ظهور البغال (لانَّ الجمال لا تسلك في معظم تلك الجهات) مؤوناتهم وذخائرهم لأيَّام كثيرة . امَّا من كان معروفًا عند اقوام الكَالَّا كالمرسلين الكاثوليك وكما كان ايضًا المسيو انطوان دي ابَّادي فانهم يرحّبون بهِ ويقبلونهُ بينهم كأَخ فيدخل اكواخهم ويتكئ معهم على الجلود المفروشة ويشاركهم في عشائهم المؤلف من طُلمات خبز الذرة والحليب والعسل والماء

على ان اصحاب الحملات المهمَّة والسياسيَّة الذين يصحبهم النجاشي بمندوبين من قبلهِ يعرّفونهم برؤساء الجهات التي يمرُّون بها ويقدّمونهم لهم كاشخاص رسميين يسافرون تحت حماية الملك . فهؤلاء حيثما حلّوا يتسابق الاهلون لتقديم فوق ما يحتاجون اليهِ من المؤونات . واذ مرَّ بتلك الاقاليم الكولونيل مرشان عـائدًا مع حاميتهِ وعساكرهِ من فشوده كنتَ ترى السكَّان بحركةٍ عظيمة على طول الطريق التي اجتازها في بلاد

منليك من بحر الغزال الى هرر لانَّ الرؤساء كانوا يصدرون الاوامر المشددة الى رعاياهم ليحضروا الهدايا والمؤونات لرجال الحملة ويأتون هم للسلام الى مضارب الكولونيل ووراءهم مئاتٌ من الرجال والنساء والاولاد حاملين كلٌّ حسب حالهِ الخراجَ الذي أُمروا بتقدمته شعيرًا وذرةً وبقولًا ومشروبات وغنمًا ومعزًى وبقرًا وكان هـذا المشهد يتكرَّر في كل محطَّة يعسكر فيها على الطريق. امَّا الرؤساء وعلية القوم فكانوا يشكرون الجنود على حسن نظامهم ويهنِّئون الضبَّاط على درايتهم في الاعمال العسكريَّة

ولكن على رسلك ايها القارئ اللبيب لا تسرع بحسن الظنِّ ولا يخطرنَّ لك انَّ الاحباش قومٌ يقرون الضيف كرمًا او انَّ ما يقدِّمونهُ لهذه الحملات يُعطى مجَّانًا! كلَّا! فانهم ابعد من ان يعرفوا للكرم اسمًا ولا للسماحة ذكرًا!.. بل انَّ اصحاب البعثات يهبون للملك اعتياديًّا وللرؤساء ما ينيف بعشر مرَّات عن ثمن ما يقدَّم لهم ولولا ذلك لما وجدوا من يأتيهم بحبَّة شعير على الطريق لدوابهم فضلًا عن المؤونات والابقار والاغنام. وربَّما تحامل عليهم هؤلاء الرؤساء ونصبوا لهم المكايد وعرقلوا اسفارهم ولو انَّ الملك قد وصَّاهم بالحماية. كذا الكولونيل مرشان المذكور فانَّ تشكُّراته لعلية اولئك الاقوام على ما ابدوهُ نحوهُ من المجاملة والكرم (ومثلهم بذلك: جدح جوين من سويق غيره) قد اوضحها بنغمة الاصفر الرنَّان فانهُ وزَّع على طريقهِ في الحبشة نيفًا وثلاثمائة الف ريال حبشي ولم ينسَ لطفًا منهُ اولئك المساكين المسخَّرين الذين لا يعطيهم روساؤهم فلسًا واحدًا لقاء ما يكلِّفونهم تقديمهُ مرغومين من المواشي والمؤونات

على انهُ سيأتي يوم (وعساهُ قريب فانَّ القوم نهضوا من سباتهم العميق) تصبح به هذه البلاد الفتَّانة ميدانًا للتمدُّن والعمران. ولكن فليسمح الله ان لا تدخل رذائل الغرب مع دخول هذا التمدُّن. فكم من مرَّة سمعنا سمع الاذن من افواه العبيد ما يحطُّ بشرف الجنس الابيض فانهم يرموننا جميعًا بقلَّة الدين وبعدم الاكتراث بالخالق الديَّان ونحو ذلك لانهم رأوا اعمال البعض منَّا المدَّعين بالتمدُّن فاذا هي مخالفة لما يأمر به الله ولما تقتضيه الانسانيَّة والمروءة والذوق السليم. ولله درّ المسيو دي ابَّادي حيث اجاد بالمقال عن هذا الموضوع: «ينبغي على الابيض كائنًا من كان اذا رحل بين الامم السود الجاهلة ان يكون وقورًا رصين الطبع وان يسلك بينهم بحكمة وفطنة وذكاء محتسبًا نفسهُ كانهُ ممثل لوطنهِ وللتمدُّن وللدين»

*

قلنا من ذي قبل كلمةً عن المياه التي تنحدر من اعالي الجبال الحبشيَّة حتى اسافلها وتتجمّع سيولًا عظيمة تجري في الاغوار حتى تأتي السهول المنخفضة . رأيناها تنهال من جبال القسم الاعلى مختلطةً مع الغمام ومزبدة مع الضباب . ونظرناها تتكسَّر شلّالات في اغوار القسم الاوسط جارفةً معها الصخور والاشجار والحيوانات . فلنشاهدها اليوم امامنا تجري سيولًا هائلةً في منبسطات القسم الادنى ثم تنصبُّ آخرًا في الانهر العظيمة او في البحر او تنضب في رمل الصحاري . ولعلَّ القرّاء الاجلّاء رأوا في مصر ما ينتج عن بعض بعضها وهو الجزء الذي ينصبّ في النيل . . . قال فيها المسيو انطوان دي أبادي الشهير ما معناه :

« يسير المسافر في فصل الصيف نهارًا في تلك الارجاء ويضّجع ليلةً ناعم البال تحت ظلّ السماء . واذا بصوت غير معتاد يطرق اذن الخدّام الوطنيين المتادين على تقلّبات جوّ بلادهم فيصرخون الماء الماء ! ثم يتراكض الجميع الى اكمة قريبة او يتسلّقون شجرة عالية ولا يمضي نصف ساعة حتى يغطّي ذلك المحلّ المنخفض نهرٌ عظيم من الماء يحمل معهُ ما اقتلعهُ من الاشجار وما اجترفهُ من الحيوانات . ولكنَّ هذا النهر مع عظمتهِ ليس هو الّا ابن يوم واحد ثم ينشف ويبقى على مسيرهِ بقايا كثيرة ممّا كان يحملهُ او يطفو على وجههِ وركايا طبيعيَّة بين الصخور قد ملأها ماء فاصبحت مورد الناس ومستقى البهائم في تلك الربوع »

وحُكي ايضًا عن المثلَّث الرحمة الكردينال ماساياً رسول الكالّا انهُ بينا كان مسافرًا للبشارة في تلك الاصقاع حدث لهُ ان جعل خيمتهُ في احدى الليالي على حافَّة نهرٍ ناشف وبعد ان تناول عشاء قشفًا ممّا قسمهُ لهُ الله هنالك اشار الى ارفاقهِ ان يناموا هم اوّلًا واخذ يتلو فرض صلواتهِ في سكينة الليل المظلم بينما كان يدور خفيرًا على حياة اتباعهِ ويوقد النار حول الخيمة حتى يخيف الوحوش الضارية فيقصيها عنهم . وهو على تلك الحالة اذ لاح لهُ عن بعدٍ شاسع لمعان برقٍ في السماء لكنَّهُ لم يكترث لهُ ظنًّا منهُ بانَّ العاصفة بعيدة بل عمد بعد اتمام صلواتهِ الى مرقدهِ في المضرب وايقظ واحدًا من ارفاقهِ ليقوم خفيرًا بدلًا منهُ . ولكن لم يكد ملك النعاس يستولي على اجفانهِ حتى ايقظهُ بغتةً صوت رعدٍ هائل ملأ الفضاء بقوَّة جلبتهِ ولم يمضِ بضع دقائق حتى رأى

القش الذي كان مضّجعًا عليهِ قد بلَّلهُ الماء . فصرخ حينئذٍ مذعورًا بارفاقهِ النيام فنهضوا واذ احسُّوا بخطر الغرق الذي كان يتهدَّدهم عمدوا الى شجرة عالية فتسلَّقوها مسرعين ووضعوا فوق اغصانها ما كان عندهم من الزاد والاثواب وكان احدهم قد ربط الى جذع الشجرة نفسها الدابَّة الوحيدة التي كانت معهم لتحمل زادهم ويستريح قليلًا على ظهرها السيد ماساَيا عند ما يضنكهُ نصب المشي في الطريق . ولم يمضِ الَّا القليل حتى حسبوا نفسهم في طوفان نوح لانَّ الماء كان قد غطَّى وجه الارض وارتفع فوقها حتى غمر الدابَّة المربوطة الى الشجرة (وكانت هذه الدابَّة بغلًا) فكانت ترفع رأسها ما استطاعت لذلك سبيلًا لتتمكَّن ان تستنشق الهواء . وهكذا قضى هذا الرسول الغيور الطيّب المآثر وارفاقهُ ليلتهم ساهرين الى الصباح على اغصان الشجرة حتى اذا جاء النهار وانقطع الماء نزلوا وهم يرجفون من البرد والتعب ثمَّ جمعوا حطبًا وحكُّوهُ على بعضهِ بمهارة لا يعرفها غيرهم حتى اوقدوا النار بالرغم عن رطوبة العود ليصطلوا .

وقال ايضًا الاب دي سلفياك المرسل الرسولي : حدث لي ان كنتُ في شهر آب سنة ١٨٩٦ مجتازًا صحراء الاوغادن صحبة ارفاقي لي أمنا . من قوم انكالَّا وكانت تلك الصحراء وقتئذٍ خاوية خالية من شدَّة القيظ بينما كانت جبال الحبشة ينهال عليها الغمر مدرارًا . فوصلنا في ظهر يوم الى محلّ قيل لنا ان بهِ ماء وكان هذا المحلّ مجرى سيل لكنَّهُ كان ناشفًا يتوقَّد رملهُ كأنَّهُ على بلاط الفرن وترسل عليهِ الشمس اشعَّتها كاللهيب المستعر . وهناك يوجد بعض آبار تمتلئ ماء عند مرور السيل يردها الاهلون مع مواشيهم من بعيد ليستقوا منها . فحدث ان في ذلك الوقت لم يكن باقيًا في قعر تلك الآبار الَّا قليل من الماء المعكَّر . وكان رؤساء تلك المجاهل قد جزموا على الاهلين (خوفًا من ان ينتهي الماء عن آخرهِ قبل مجيء السيل فيموت الناس عطشًا) ان يسقوا المواشي مرَّةً في كل ثلاثة ايَّام وان يشرب الرجال والنساء مرَّةً واحدة في كل يوم والاولاد مرَّتين وكان يُعطى لكل ربّ عشيرة ما يكفي لذلك من الماء . فلمَّا جاءت العشيَّة انفرد ارفاق المرسل يستنشقون الهواء بعد عناء النهار وحرّهِ ثم اكلوا ما قسم لهم الله وكان قد اعياهم النصب فانطرحوا نيامًا على الحضيض مفترشين الرمل وملتحفين القبَّة الزرقاء . ولكن ما عتم ان اتاهم قصيف الرعود واذا بالافق قد أظلم واكتنفتهُ الغيوم الكثيفة من كل ناحية وصوب ثم اخذت الامطار تنهمل عليهم قطرات ضخمة

الحجم حتى جرى الماء من تحتهم وانحدر السيل بغتةً من بعيد بقوَّة هائلة وغمر الارضين. فتهلَّل النـاس طربًا وانتعشت الدواب والمواشي التي كان قد قتلها الظمأ فكنت تراها ترفع رأسها الى السماء لتلتقط قطرات الماء في افواههـا فانَّ السيل في ذلك الوقت ماؤه عكر غير مشروب (له بقيَّة)

الدَّوْطة او المنّينَى

عند العرب واهل الشرق

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي

قرأنا في احدى المجلَّات العلميَّة المصرية السؤال الآتي:

س قد استفاضت الجرائد في هذه الايَّام بذكر ما يُسمَّى بالدوطة فمن الكتَّاب من نقلها بلفظها الاعجمي ومنهم من عرَّبها تارةً بالمَهْر وتارةً بالصداق وهما خلاف المقصود لان المراد بها ما يؤديهِ الزوج الى الزوجة عند عقد القران والدوطة بالعكس كما هو معلوم فهل كان عند العرب شيء يقابل الدوطة ? واي لفظ يصحُّ ان يُعبَّر بهِ عن هذا المعنى ?

فكان جواب المحرّر الاديب ما حرفهُ:

ج لا شك انَّ العرب لم يكن عندهم شيء في معنى الدوطة اذ لم يكن ذلك معروفًا عندهم كما لم يكن معروفًا عند اهل المشرق عامَّةً ولذلك لم يكن في لسانهم لفظٌ يُعبَّر بهِ عن هذا المعنى. على ان الظاهر من استعمال لفظة الدوطة عند الافرنج انها غير مخصوصة بالمال الذي تؤدّيهِ الزوجة الى الزوج. وانما هو قيدٌ اتفاقيٌّ غلب بغلبة العادة فانهم يستعملونها ايضًا بمعنى المال الذي يؤديهِ طالب الرهبانيَّة الى الدير. وهي في هذا المعنى تتناول الذكر والانثى على السواء. وقد تُطلق ايضًا على المال الذي يُفردهُ الوالد لولدهِ على وجه التخصيص والتمليك. ذكرهُ غير واحدٍ من مشاهير علماء اللغة عندهم وما احرى هذا المعنى الاخير ان يكون هو المعنى الاصلي في هذه اللفظة. وهذا ولا شكَّ مما كانت تفعلهُ العرب شأن غيرها من كلّ أُمَّةٍ. يقولون: نَحَلَ الرجُلُ ولدَهُ مالًا وانحَلَهُ: اذا خصَّصهُ بشيءٍ منهُ. ويسمَّى ذلك المال النُّحْل والنُّحلان بالضم فيهما. وجاءت ايضًا البائنة بالمعنى نفسهِ الَّا انها اخصّ من النُّحل يقال: ابان الرجُلُ ولدَهُ إبانةً اذا افردهُ بمالٍ يكون لهُ على حدة. وقد بان الولد بذلك يبين بيونًا ولا تكون البائنة الَّا من الابوين او من احدهما. على ان النُّحل قد يجيء بمعنى الصداق ايضًا ومثلهُ النِّحلَة بالكسر فهو من اللفظ المشترك واذا استُعمل في المعنى الذي نحن فيهِ كان من الاضداد اي الالفاظ التي تُستعمل في الشيء وضدّهِ. ولذلك نختار هنا العُدُول الى الابانة (كذا. وقولهُ العدول الى الابانة معناهُ الرجوع اليها والمراد هنا العدُول عن الابانة اي الحُيُود والميل عنها كما يؤخذ من القرينة) دفعًا للالتباس والله اعلم

قلتُ: فاما قول المُجيب: « لم يكن ذلك معروفاً عند اهل الشرق عامة » ففيه نظر. لانَّ اليهود يفعلون ذلك منذ قرون عديدة والامر مشهور عندنا في العراق بل وفي سائر الآفاق. وهو وان كان بادئ بدءٍ لم يعمّ بنات اليهود كلهنَّ بل ما كان منهنَّ كبيرات السنّ او مشوَّهات الخلقة الَّا انهُ مع الزمان قضى الطمع بادخال هذه العادة للاسباب المذكورة او لاسباب أُخرى مجهولة كمثل حَصْر الثروة في الصهر خوفاً من تبديدها الى غير ذلك من اسباب الأُلفة فرسخت في الأمة فعدَّت من مميّزاتها ولعلّها دَخلت بلاد الفرنج على أيدي اليهود انفسهم. وامَّا دليلنا على وجود الدوطة عند اليهود منذ قديم الزمان فهو ما جاء ذكرهُ في الاسفار المقدَّسة ولعلهُ كان السبب الباعث على ادخالها عندهم

وهذا نصُّ ما جاء في الكتاب الكريم (سفر طوبيا ٨: ٢٤): « واعطى رعوئيل (ابو الابنة) لطوبيا (صهره) نصف ماله كلّه وكتب لطوبيا صكّاً بالنصف الباقي ان يستولي عليه بعد موتهما » (اي بعد موت والدَي الابنة) اه

قلنا: ولمَّا كان اليهود من امم الشرق فتكون النتيجة على غير ما اثبتها الكاتب المُجيب

ثمَّ انَّ اليهود كانوا في بلاد العرب قبل الهجرة بكثير ومن ثمَّ فلا عجب ان تكون عوائدهم قد سرت الى اخلاق اهل هذه الجزيرة. وعليهِ فكانت الدوطة معروفة عند قدماء العرب ماهيةً وحقيقةً إنْ لم تكن معروفة اسماً

هذا واننا نرى انَّ الدوطة كانت معروفة عند ابناء المشرق كلهم اجمعين والسبب هو. لان وجود بنات دميمات امرٌ غير منكر في كل أمة خلقها الله كوجود بنات حسان. ولمَّا كان وجودهنَّ في البيت من بعد موت أبويهنَّ ممَّا يُثقل على من كان من عشيرتهنَّ اصبح انصراف عناية الوالدَين بهنَّ من الامور الطبيعيَّة. ولذا كان امر دفع مالٍ او ما يقوم مقامهُ الى من يتزوَّجهنَّ تسهيلاً لقرانهنَّ وترغيباً للناس فيهنَّ من الامور البديهيَّة التي لا تحتاج الى براهين عقليَّة

وامَّا انَّ الدوطة كانت معروفة عند قدماء العرب فلنا على ذلك أدلَّة نقليَّة عدا ما اوردناهُ من الادلَّة العقليَّة. فقد جاء في حديث البخاري وغيرهِ: « ان النبي صلعم قال: تُنكح المرأةُ لِمِيسَمها (اي لحسنها وجمالها) ولمالها ولحَسَبها. فعليك بذات

الدين تربت يداك » اه . فقوله : « لمالها » دليل على ان من الناس من كان يطلب النساء لمالهنّ

ومن ذلك ايضاً ما نُقل عن احد العرب من قول له يقوله لابنه : « يا بنيّ اياك والرقوب الغضوب الأنانة الحنانة المنانة » فالحنانة : التي كان لها زوج قبل فتذكره بالحنين والتحزّن رقّةً على وُلدها اذا كانوا صغاراً ليقوم الزوج بامرهم . . . وقيل الحنانة التي تحنّ الى زوجها الاوّل وتعطف عليه . وقيل هي التي تحنّ على وَلدها الذي من زوجها المفارق لها (عن التاج بحرفه في مادّة حنن)

وذكر السيد المرتضى في مادّة م ن ن : وقال بعض العرب : « لا تتزوّجنّ حنّانة ولا منّانة » وشرح معنى المنّانة بقوله : من النساء التي زُوّجت لمالها فهي ابداً تمنّ على زوجها » اه . فهذا القول يثبت : اوّلاً انهُ لم يكن من عادة العرب ان يزوّجوا بناتهنّ لمالهنّ ولهذا فاذا اتفق ذلك فترى المرأة ابداً تمنّ على زوجها لكونها اعطته مالاً . وثانياً ان معنى المنّانة او المَنون هو كما نقول اليوم : امرأة ذات دوطة وبالفرنسيّة une femme dotée فاذا كان الامر كذلك فما علينا الّا ان نتّخذ المصدر بمعناه المألوف لهذه الدوطة حملاً على ان ما في الفروع هو في الاصول وعليه لمّا كانت المنّانة او المنون من صيغ المبالغة وكلاهما مشتقّ من فعل « منّ » فيكون المصدر على ما نقلهُ الينا اللغويّون « المنّ » قال في اللسان : منّ عليه يمنّ منّاً : احسن وانعم . والاسم : المنّة » وقال ايضاً « المِنّينَى : من المنّ الذي هو اعتقاد المنّ على الرجل . وقال ابو عُبيد في بعض النُسخ : المِنّينَى : من المنّ والامتنان اه

وعليه فتكون « المنّ والمنّة والمِنّينى » بمعنى الدوطة الّا اننا نُخيّر المِنّينى على البقيّة لانّ اللفظتين الاوليَين لكثرة استعمالها قد انصرف معناهما الى الاحسان والانعام بوجه عام وامّا المنّيني فلقلّة استعمالها يجوز لنا ان نحصر معناها في الدوطة وذلك لكي لا يذهب الفكر الّا الى هذا القيد من المعنى وان كان يجوز لنا اتخاذ اللفظتين المذكورتين بالمعنى الذي نحن في صدده

واما النُحل والنُحلان (بالضمّ) والنِحلة (بالكسر) والبائنة فانت ترى انهُ لا اثر لمانيها في ما نحن من صدده الّا من بعيد . ولا يجوز لعاقل ان يستقي ماءهُ من معين بعيد القعر والقرار او بعيد المسافة ويجانبه معين افضل ماء واقرب قراراً ومسافةً . وزد

على ذلك انَّ القارئ اذا ما عثر لأوَّل مرَّة على هذه الالفاظ ولم تكن مشفوعة بمرادفها الاعجميّ يتحتم عليهِ ان يبحث عن معانيها في دواوين اللغة · ولما كانت هذه لا تفيده فائدة بيّنة صريحة في ما ينقر عنهُ من المعنى رجع بخُفَّي حُنين بعد ان يكون قد صرف شطرًا من الزمان سُدًى في سبيل ادراك هذه الامنيَّة · ولمَّا اذا قلنا مثلاً : ان فلانًا تزوَّج مَنونًا او منَّانة (وهذه احسن لانها توقع الوهم في الفهم) عرف القارئ للحال مؤدّى اللفظة لانهُ اذا نقّب عنها في معاجم اللغة بانَ لهُ المعنى بحقيقتهِ بدون عناء ومشقَّة وكذا اذا قلنا : تزوَّج امرأةَ ومَنِّها او مِنَّتِها او مِنْيِناها كذا من المال · فالمعنى ظاهر لا يفتقر الى ادنى تعمُّل ولا يحتاج الى ادنى تأمل فاذا عرفت كل ذلك فانت مُخيَّر بعد هذا في استعمال ما تُريد · هدانا الله وايَّاك الى كل حقّ وحقيقةٍ والسلام على من اتبع الهـــدى

المعادن في لبنان

نظر للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي

نقسم كلامنا في المعادن اللبنانيَّة الى قسمين · فانا نبحث اوَّلاً عن احوالها الحاضرة ثمَّ نستقري الشواهد التاريخيَّة

١ حالة المعادن حاضرًا

كلامنا في هذا القسم عن ثلاثة امور : اصناف الوَقود ثمَّ المناجم المعدنيَّـــة ثمَّ الحجـــارة وانواعها

اوّلاً الوقود

١ فلنباشرنَّ بالفحم الحجريّ الذي نال في علم المعادن واعمال الصناعة مقـــامًا راجحًا لا يحتاج الى بيان · انَّ الذين بحثوا في بلادنا عن طبقات الارض وتركيبها مجمعون بانَّ سوريَّة خالية من الفحم الحجريّ (houille) ولا يخرج لبنـــان عن هذا الحكم العمومي · على انَّ في هذا الجبل طبقات من القِضَّة (grès) تتضمَّن مستودعات عديدة

من الفحم الخشبي المتحجر (lignite) غير كامل التفحم لكنها بلغت في نموها ما هو كافٍ لاستثمارها

وهذه الاخشاب المتحجرة على ضربين. فمنها ما تظهر فيه تقاطيع الخشب وهو الخشب الحُتري. ومنها ما استفحم الى ان فقد تماماً أثر النسيج النباتيّ. وهذا الصنف الثاني يكون فحمهُ اسود كالقير لامعاً وقريباً من الفحم الحجري. واغلب المناجم التي ترى فيها هذه الاخشاب المتحجرة يمترج فيها البيريت (pyrites) الابيض (وهو مزيج الكبريت بالحديد) مع الصلصال ويصعب فصلها عنهُ وهما يجعلان هذا الوقود غير صالح لاعمال الصناعة. وزد على ذلك انَّ فحمها اذا تكشَّف للهواء لا يلبث ان يتفتَّت وتعاورهُ قشرةٌ من عنصر الشبّ. ومستودعات هذا الخشب المتحجر في الجبل هي في الغالب قليلة الاتساع لا يتجاوز عمقها مترين. امَّا مواقعها في لبنان فدونك ما يستحقّ منها الذكر مباشرةً بنواحي الجبل الشماليَّة

شاع انَّ في قائمقاميَّة البترون قريباً من بشرَّاي منجماً من المستحجرات الخشبيَّة. وليس لدينا شيءٌ من الاعلامات المدقَّقة في هذا الخصوص فنكتفي بالاشارة. امَّا جهات لبنان الجنوبيَّة فعندنا من الايضاحات ما هو اوفى بالمرام فانَّ في القاطعة الكسروانيَّة في قرطبة وميروبا والمنيطرة مناجم متعدّدة من الحجر الخشبي كان يهتمّ باستخراجها اصحاب المعامل الحريريَّة ولعلَّهم يستثمرونها حتَّى اليوم. امَّا منجم ميروبا فلولا بعدهُ عن المراكز الكبرى لصلح للحاجات البيتيَّة وناب مناب ضروب الوقود

واشهر طبقات الفحم الخشبي المتحجر في قرنايل من مقاطعة المتن وقد صار الاعتناء باستخراجهِ من سنة ١٨٣٥ الى ١٨٣٨ لكنَّ قيمة هذا الفحم كانت ارفع من فحم انكلترَّة بعد نقلهِ الى بيروت. وكانت علَّة هذه الاسعار الفاحشة قلَّة وجود اسباب المواصلات فيُحتاج الى الدوابّ لنقل ما يُستخرج من المناجم. ولولا هذه الصعوبة لاضحى هذا العمل رابحًا لانَّ اربعين معدّنًا فقط كانوا يستخرجون من هذا المنجم مئة قنطار في اليوم. والفحم جيّد رغمًا عن انقطاع طبقاتهِ وتجعُّداتها. وهذا المنجم قليل السعة وسمكهُ لا يتجاوز مترًا

وفي المتن الاعلى مناجم فحميَّة أُخرى متعدّدة يستفيد من بعضها ارباب المعامل الحريريَّة المجاورة. منها منجم مار يوحنَّا الَّا ان اختلاط فحمهِ بالكبريت والحديد يصدُّ

عن استعماله · وفي فالوغا منجم آخر يوجد فيهِ جذور شجر تحوَّلت الى هذه العناصر الغريبة فاذا انكشفت للهواء صارت فتاتاً بعد قليل · وفي بزبدين منجم ثالث ليس بذي شأن

وهذه المناجم الفحميَّة يصعب استثمارها لقلَّة اسباب المواصلة ولبعدها عن المراكز الكبيرة فضلًا عن كونها قليلة العمق ضيّقة النطاق تكثر فيها الموادّ الغريبة التي لا يمكن إفرازها الَّا بعد النفقات البالغة · فهذه العوائق كلها تقوم في وجه العمل وتزيد في صعوبتهِ وتقلّل ارباحهُ المأمولة

وخلاصة القول انَّ طبقات الفحم المتحجر السابق وصفها لا يمكن تعدينها وانَّما يجوز استخدامها للمعامل الصناعيَّة الصغيرة وللحاجات البيتيَّة بشرط ان يُختار منها أجودها وتُنقَّى تنقيةً حسنة من موادّها الغريبة

*

وان اعتبرنا قائمقاميَّة جزّين وجدنا مناجمها الفحميَّة في حالة أصلح وان عدمت ايضاً الوسائل الجامعة بينها وبين المراكز الكبرى حيث يمكن بيعها · نعم انَّ صيداء اقرب الى جزّين من قرنايل الى بيروت ببعض كيلومترات لكنَّ صيداء مركز قليل الشأن فتكون قطعيَّتها لهذا الفحم زهيدة

وهاك ما يُعرف من طبقات الفحم الخشبيّ المتحجر في قائمقاميَّة جزّين:

اذا خرجت من صيداء في وجهة الجبل رأيت بازائك على حدود الافق من جهة الشرق جبلين تنتصب قمتها على شبه المخروط مع استدارة قليلة كان ارباب البحر لغرابة شكلها يستدلُّون بهما الى موقع صيداء قبل شيوع السفن البخاريَّة · والقمَّتان قريبتان لا يفصل بينهما الَّا مهبط قليل العمق فدُعيتا لهذا السبب بتومات نيحا او بالتوأمات · وكان الاولى بان تُدعيا بتومات جزّين لوقوع جزين عند سفحها · فان غلب اسم نيحا فذلك على رأينا دليل على خطر قرية نيحا قديماً · ومن زار هذه القرية تحقَّق صحَّة هذا القول لاسيَّما اذا رأى على مقربةٍ منها تلك القلعة المنقورة في الصخر الشهيرة بشقيف تيرون او بقلعة نيحا وقد سبق لنا وصفها (١

---

١) راجع تدريج الابصار (ج ٢ ص ١١٦)

ويتشعّب من تومات نيحا غربًا من جهة البحر شِعْبٌ تُرى فوقها جنوبيَّ جزّين مناجم من مستحجرات الفحم الخشبي نزيد هنا وصفها . ولا يخرج من دائرة الجبل الغربي سوى منجم واحد يُرى على وجه الارض طولهُ ٥٠٠ متر وارتفاعهُ ٨٠٠ م بين قريتي مشغرة ونيحا اعني في منحدر تومات نيحا الشرقي

فان اعتبرنا اذن المنعطف البحري وجدنا موقع اوّل منجم فحمي على مسافة ١٣ كيلومترًا فقط من صيداء . وفحمهُ شديد الحلكة لامع ذو قطع جامدة يُكسر كسرًا ولا يتفتّت وهو على وجه الارض يعاينهُ الناظر في وادٍ صغير قرب المراح في علوّ يختلف بين ٧٥٠ و٨٠٠ م وهو يتّصل بعين التغرا فوق الوادي الى حد ٩٠٠ متر. وان سرت من ثمّ الى جهة الجنوب أمكنك ان تتّبع آثارهُ متواصلة بين قريتي خرخيّا وزحلتا على طول ١٢٠٠ متر وهناك لا يعود يُرى على وجه الارض غير انّ الصلصال المختلط بموادّ فحميّة وشستيّة (schiste) يدلّ على وجوده في مسافة نحو كيلومتر . وفي بعض الانحاء قد استخرج منهُ الاهلون بعض القناطير ولم يحفروا في عمق يتجاوز سبعة امتار . امّا سمك هذه المناجم فيتراوح بين ٥٠ سنتمترًا و٠،٦٠ ,١ . وهذا ممّا يدلّ على قلّتها

وعلى مسافة نحو ٣٠٠ متر شمالًا من عين التغرا حجارة من الشِسْت حمريّة تمتدّ بين طبقتين من الحجارة الكلسيّة وتحتها طبقة من الفحم الخشبي المتحجر. سمكها يختلف بين ٧٠ سنتمترًا الى ثلاثة امتار ونصف وامتدادها يبلغ زهاء الف متر

وكذلك قرب الطريق المؤدّية من حيطورة الى جزّين طبقات أُخرى من الشست الممزوج بالحُمَر يراها الرائي على طول امتدادها تقريبًا ثمّ تتوارى تحت قرية زحلتا وعمقها في بعض المواقع يبلغ من اربعة الى خمسة امتار . ومعدّل ثخانتها اربعة امتار واستخراجها لا يستدعي شغلًا كبيرًا . وهذا المنجم لا يغطّيه سوى غشاء خفيف من التراب ويمكن تعدينهُ من الخارج دون فتح اسراب . وصلاحيّتهُ في الغالب استخراج غاز التنوير منهُ (لهُ تتمّة)

ناصيف المعلوف وأسرتهُ

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف
مدرّس آداب اللغة العربيَّة والخطابة في المدرسة الشرقيَّة في زحلة (تابع)

٣ ناصيف المعلوف اللبناني

كان والد ناصيف هذا وهو الياس بن حنَّا بن ابي فارس منعم من سلالة عيسى ابراهيم المعلوف مقرَّبًا من المير بشير الشهابي الكبير فنصَّبهُ ولدهُ المير امين ناظرًا لاملاكهِ في بلاد جبيل لما رأى فيهِ من اخلاص الخدمة والدراية فبقي زهاء عشرين سنة قائمًا في ما وُكِل اليهِ احسن قيام فازدادت منزلتهُ رفعةً في عيون المير الكبير واولادهِ فأحبُّوهُ كثيرًا وعهدوا اليهِ بكثير من الاعمال الخطيرة ووثقوا بهِ كل الثقة وبقي ناظرًا لاملاكهم الى ان توفي في قرية شامات من بلاد جبيل سنة ١٨٥٠ م وكان كاتبًا حاسبًا ماهرًا استنسخ كثيرًا من الكتب بخطهِ الجميل

وكان مسكن الياس هذا في قرية زبوغة (١ من اعمال لبنان في قضاء المتن فوُلد لهُ فيها ولدان احدهما ناصيف في ٢٠ اذار سنة ١٨٢٣ (٢ والآخر يوسف سنة ١٨٢٨ وهذا سيم كاهنًا على قريتهِ زبوغة باسمهِ وبقي يخدم الانفس فيها الى ان توفي سنة ١٨٩٣ عن ولد واحفاد

امَّا ناصيف بكر الياس صاحب هذه الترجمة فمال منذ نعومة اظفارهِ الى العلوم وشُغف بها لانهُ وهو صغير كان يرافق والدهُ الى بيت الدين حيث كان مجلس المير بشير حافلًا بالشعراء والعلماء مثل العلَّامة الشهير الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني والشاعر المطبوع بطرس كرامة الحمصي والعالم الفاضل الشيخ رشيد الدحداح (٣ وغيرهم .

---

١) ان قرية زبوغة هي اليوم من مديريَّة بسكنتا من قضاء المتن في لبنان الى الغرب الجنوبي من قرية كفرعقاب مقرّ معظم الاسرة المعلوفيَّة ومبعث انتشارها ولن تزال في زبوغة أُسرة بني منعم المعلوفيَّة الى يومنا

٢) جاء في ترجمتهِ الافرنسيَّة التي يأتي ذكرها انهُ وُلد سنة ١٨٢٧ م وذلك خطأ امَّا معجم المعاصرين للعلَّامة ڤابرو (Vapereau) فذكر ولادتهُ في هذه السنة وهو الصحيح

٣) راجع ترجمتهُ في مجلة المشرق الغرَّاء السنة الرابعة

فكان البرّ واولادهُ يقولون لوالدهِ : «علّمهُ فننظمهُ في سلك هذا الديوان» وهو يسمع مقالهم فيزداد رغبةً والنفس طامحة الى العلاء من طبعها

فتلقّى مبادئ العلوم على خالهِ المرحوم الخوري ميخائيل العغيش (١ رئيس دير القديس سمعان العمودي (٢ قرب مسقط رأسهِ فاتقنها ولمّا رأى منهُ الطيب الذكر المطران اغابيوس الرياشي (٣ ذكاء واجتهادًا استكتبهُ مدةً فكان يرافقهُ الى بيروت شتاء حيث اتمّ علومهُ فيها على الخوري اغابيوس البنّاء واتّصل بكثيرٍ من علماء عصره فاقتبس منهم ما زادهُ رغبةً في العلم ودرس مبادئ اللغتين الفرنسويّة والايطاليّة على بعض المرسلين في بيروت فاتخذهُ المطران اغابيوس المشار اليهِ كاتمًا لأسرارهِ ثمّ وكيلًا لهُ في بيروت فقام بما انتدبهُ اليهِ على صغر سنّهِ بهمّة ونشاط اذ لم يكن قد بلغ العشرين . وكان يغتنم الفرص للمطالعة واستزادة معارفهِ كانهُ كان ينظر الى مستقبل اكبر ولاسيما بعد ان تغيّرت الاحوال فقطع ناصيف حبل آمالهِ وحدّثتهُ نفسهُ بالسفر

وفي تلك الاثناء قدم من ازمير الى بيروت التاجر الشهير المرحوم يوحنّا العرقتنجي

---

١) انّ بني العغيش جاؤوا من قارة والنبك نحو سنة ١٧١٠ م الى لبنان وسوريّة واستقرّوا في قرية المجدلة قرب بكفيا في لبنان ومنهم الخوري ميخائيل هذا ومن هذه القرية نزح بعضهم الى بيروت ومنهم من استوطن زحلة ويعرفون فيها ببني هاشم الى يومنا هذا

٢) ذكر دير القديس سمعان العمودي لطائفة الروم الكاثوليك في سجلّ الرهبنة الحنّاوية سنة ١٧٣٢ م ولا نعرف بانيهُ وفي سنة ١٧٦٤ ضُمّ رهبانهُ الى الرهبنة الحنّاويّة وصار من اديارها بأمر السيد ثاوضوسيوس الدهّان البطريرك . ثم أُعيد لمطران بيروت . وفي سنة ١٧٩٧ التأم المجمع السادس عشر في دير القديس ميخائيل تجاه زوق ميكائيل لالغاء الرهبنة السمانيّة التي انشأها فيهِ السيد اغناطيوس صرُّوف مطران بيروت اذ ذاك فألغوها وكان هذا الدير مقرًّا لبطاركة الروم الكاثوليك الى ان قُتل فيهِ السيد اغناطيوس هذا بعد ان صار بطريركًا سنة ١٨١٢ فصار بعد ذلك هذا الدير مصيفًا لمطارنة بيروت الى يومنا وهو من مديريّة بكفيا قائم على مرتفع يعلو عن البحر زهاء ١٠٤٤ مترًا يشرف على بيروت والبحر تحدق بهِ اشجار الصنوبر على مرتفعاتٍ حولهُ وقد جرّ اليهِ الماء المطران اغابيوس الرياشي بقناطر بديعة وفيهِ ابنية شائقة و كنيسة كبيرة انشأها على هندسة كنيسة القديسين بطرس وبولس في رومية السيد اغناطيوس صرّوف . وقد رمّم بعض مبانيهِ السيد اغابيوس المعلوف مطران بعلبك لمّا كان نائبًا اسقفيًّا في بيروت . ورئيسهُ اليوم حضرة الايكونوموس الفاضل الخوري يوسف حنّا المعلوف النائب الاسقفي في لبنان وهو نسيب ناصيف صاحب الترجمة

٣) راجع سيرة هذا الاسقف الجليل في احد اعداد المشرق من السنة الحالية (ص ٣٠٢)

لترويج اعمالهِ فيها اذ كانت بيروت قد بدأت حياتها التجاريّة فكان يختلف الى الدار الاسقفيَّة لزيارة السيد اغابيوس صديق نسيبهِ الطيّب الذكر المطران باسيليوس العرقتنجي مطران حلب (١. فتعرَّف ناصيف بهِ وجالسهُ مرارًا واشرب قلبهُ حبَّ السفر الى ازمير لانها كانت مدينةً للعلم اذ ذاك وقد رافقهُ الى دير القديس ميخائيل في الزوق لزيارة ضريح نسيبهِ المطران المومأ اليهِ فركبا متن البغال وعاجا بمدرسة عين طورة للآباء اللعازريين فتعرَّف يوحنَّا برئيسها الاب فرنسيس امايا (راجع المشرق ٣: ٥٤٨) وسألهُ عن مدرستهم في ازمير المعروفة بالبروباغندة وعن رئيسها وبعض اخوانهِ من اساتذتها فاجابهُ عن كل ما سألهُ عنهُ وناصيف يزداد شوقًا الى ازمير فطلب من حضرة صديقهِ الاب امايا وصاة الى رئيس مدرستهم فيها ثمَّ ودَّعاهُ فدعا لهما بالتوفيق فعادا الى بيروت ومعظم حديثهما عن ازمير

٤ السفر الى ازمير

فاخذ ناصيف في اعداد الذرائع لاستئذان مخدومهِ السيد اغابيوس واسترضاء والديه بواسطتهِ . فبذل الاسقف ما امكن من طرق الاقناع واظهر الوالدان عدم رضاهما عن ذلك فازداد ناصيف رغبةً واظهر لأهلهِ انَّ نجاحهُ مترتب على مزايلة بيروت لانَّ الاشغال فيها قليلة والرواتب لا تفي بالنفقات

فلمَّا رأوا جميعهم اصرارهُ على ما نوى ووثقوا بما وعدهم بهِ يوحنَّا المذكور من انهُ ينزلهُ في بيتهِ ويتَّخذهُ مدرسًا لاولادهِ ويبذل النفس في سبيل راحتهِ ودَّعوهُ بقلوبٍ خافقة وعيون ذارفة وما ادراك شدَّة هول السفر في البحر في ايَّامهم . فبكى لبكائهم وشكر عناية السيد اغابيوس الذي ودَّعهُ آسفًا لفراقهِ لما كان لهُ عندهُ من المنزلة وما كان يعلّق عليهِ من الآمال المستقبلة ولمَّا كان موعد سفر الباخرة الى ازمير في التاسع عشر من ايَّار سنة ١٨٤٣ تأهَّبا لهُ

---

١) انَّ المطران باسيليوس هذا كان صنو السيد اغابيوس في رهبنتهِ وقد صار رئيسها العام سنة ١٨١٤ وانتُخب في اثناء رئاستهِ العامة الى اسقفيَّة حلب فسيم في ١٦ ت ١ سنة ١٨١٦ خلفًا للسيد مكسيموس مظلوم الشهير الذي كان قد تنازل عنها لدى الحبر الروماني . وكانت سيامتهُ من يد السيد اغناطيوس القطَّان اللبناني بطريرك الطائفة . وتوفي السيد باسيليوس في دير مار ميخائيل في الزوق في ٢٦ ايَّار سنة ١٨٢٣ ودُفن هناك

فأبحرا في هذا اليوم خارجين من ميناء بيروت فذهل ناصيف لمرآها من ظهر البحر وكانت قمم لبنان المعمَّمة بالثلوج تتكشَّف لهُ الواحدة بعد الاخرى فأثَّر ذلك الفراق في نفسهِ وبكى متذكرًا اهلهُ وموطنهُ ثمَّ ثابت اليهِ نفسهُ فتجلَّد ونظر الى الآمال المستقبلة بعين ملؤها الثقة بالنجاح فتعزَّى وصادف من لطف رفيقهِ ما برَّد لوعتهُ . وقد اصابهُ قليل من الدُوار لم يكن ليمنعهُ عن استعراض تلك الثغور التي امامهُ فسرَّح الابصار في كثير من مدن سوريَّة الساحليَّة وبرّ الاناضول وقرَّ عينهُ بمنظر جزيرة رودس

ثمَّ اجتازت السفينة الارخبيل بين جُزر صغيرة كصاقس وبطمس ثمَّ اشرفت على رأس قرابورنو اي الرأس الاسود المعروف عند القدماء باسم الرأس ميلانا وهناك يبتدئ خليج ازمير حتَّى اشرفت على ازمير فكان منظرها مؤثّرًا بقلب ناصيف وهي واقعة في آخر الخليج الى الشرق كتاج درَّتهُ جبل باغوص فألقت الباخرة مرساها في الميناء في نصف الليل من الخامس والعشرين من أيَّار . وكانت قد عاجت بكثير من المدن التي مرَّت عليها وترل ركَّابها الى بعضها لترويح النفس من عناء السفر وقد سُرَّ ناصيف كثيرًا بهذه الرحلة لانَّ البحر كان هادئًا والجو صافيًا وشاقهُ منظر ازمير البديع ورأى فرقًا كبيرًا بينها وبين مدينة بيروت التي لم يكن عمرانها شيئًا مذكورًا في تلك الآونة بل لم يكن سكَّانها أكثر من بضعة عشر الفًا فقط

امَّا ازمير فكانت وقتئذٍ الثانية في مدن الدولة العليَّة في العمران وعدد سكانها نحو مائة الف نفس واكثر ابنيتها من الخشب . ولم يكن بُني اذ ذاك مرساها وانَّما كان مرفأها امينًا ولها الخليج الكبير المنسوب اليها طولهُ ١٨ ميلًا ومعدَّل عرضهِ ثمانية اميال . ومن مشاهيرها في ذلك العهد بوغوص بك يوسفيان الذي كان يتولَّى اذ ذاك نظارتي الخارجيَّة والتجارة في مصر وتوفي في السنة التالية ١٨٤٤ وفي ازمير وُلد نوبار باشا الوزير الشهير سنة ١٨٢٥ . وكانت حالتها العلميَّة مرضيةً فيها عدد من المطابع والجرائد في عدَّة لغات . وكذلك مدارسها كانت في تقدم ونجاح

وكانت على الرصيف أسرة يوحنَّا العرقتنجي تتوقَّع قدومهُ فاستقبلتهُ وتعرَّفوا بناصيف فساروا بهِ توًّا الى منزلهم واكرموا مثواهُ فصار يدرّس اولاد يوحنَّا اللغة العربيَّة ومبادئ الفرنساويَّة فيثق بهِ يوحنا كل الثقة ويعتمد عليهِ في شؤونه التجاريَّة لمهارتهِ في فن الحساب ولحسن خطّهِ وسداد رأيهِ وأحبَّتهُ أسرتهُ كثيرًا لأدبهِ ونشاطهِ

وقد اغتنم ناصيف تلك الفرصة فدخل مدرسة اخوة التعليم المسيحي سنة ١٨٤٤ ومارس الافرنسيَّة حتى برع فيها وبعد سنة اي سنة ١٨٤٥ انتظم في سلك اساتذة اللغات الشرقيَّة في مدرسة البروباغندة المارّة الذكر للآباء اللعازريين وكان قبلًا قد عرف رئيسها فسرَّ به لذكائه ومعارفه ولرسالة صديقه وزميلهِ رئيس مدرسة عين طورة الاب اماياكما ذكرنا قبلًا . فأبدى فيها براعة بالتدريس ولم يكن يصرف اوقات فراغهِ طلقًا فاتقن فيها اللغات التركيَّة والايطاليَّة واليونانيَّة الحديثة فازداد انصبابًا وبراعة ونال منزلة لدى العلماء ورؤساء تلك المدرسة فاثنوا عليهِ كثيرًا نخصّ منهم الاب اوجان بوره (E. Boré) رئيسها الشهير الذي اثنى مرارًا على جدّهِ وبراعته وصدق خدمتهِ . وقد بقي يدرّس فيها نحو عشر سنوات ويشتغل في اثناء ذلك بوضع تآليف مفيدة . وقد زار الاستانة العليَّة وباريس وبعض مدن اوربَّة (لهُ تابع)

شرح الآية (مَنَا تَقَلْ فَرَسْ)

نبذة لحضرة الدكتور يوسف اوفرد احد اعضاء الجمعية الكتابية في لندن

ذُكر في الفصل الخامس من سفر دانيال (٥: ٢٥) انَّ اصابع يدٍ سريَّة ظهرت بينا كان بلشصَّر ملك بابل يولم لاهل بلاطهِ ويشرب في الآنية التي سلبها والدهُ من هيكل اورشليم فكتبت هذه الالفاظ التي تُقرأ في النصّ العبراني « مَنَا مَنَا تَقِلْ وفَرْسِين » (מנא מנא תקל ופרסין) قال الكتاب في تعبيرها (٥: ٢٦) « منا اي احصى الله ملكك وأنهاهُ . تَقَــل اي وُزنت في الميزان فوُجدت ناقصًا . فَرس اي قُسمت مملكتك ودُفعت الى ماداي وفارس » وشروح المفسّرين على هذه الآية عديدة تكاد لا تُحصى (١

وفي الترجمة السبعينيَّة اليونانيَّة وردت تلك الالفاظ على تلك الصورة : « منا منا تقل فرس » (Mene, Mene, tekel, feres) وهي الفاظ بابليَّة كانت في الاصل

١) راجع ما كتبهُ في هذا الصدد من المقالات الملمّان بترس وبرتون في الولايات المتَّحدة في المجلد الخامس عشر من مجلَّة الاداب الكتابيَّة (Journal of Biblical Literature. xv)

كما يظهر « مَني مَنُو شقلو وفرسي » (Mani Manu šiklu u-parsu) واللفظة الاخيرة هي في الاصحّ اصليّة ويُمكن ان يُشار بها الى احد العنيين اعني « قسمٌ » او « الفُرس » ودانيال في تعبيرهِ لها يفسّرها بالمعنيين

ولا يخفى دارسي الاسفار المقدَّسة ما ذهب اليهِ الشارحون في بيان الفاظ هذه الكتابة ولعلّ اكثرهم يجهلون بانَّ صورة هذه الكتابة التي دُوِّنت على الجدران مكتوبة بيد خفيَّة او بالحري بيد مرهبة لم تكن لدى اهل بابل حادثاً غريباً لانَّ في الآثار البابليَّة نصوصاً سحريَّة تدعو الى التصديق بمثل هذه العجائب فانَّ المسيو الفرد بواسيه الذي تفرَّد لدرس السحر والعرافة وكتابات السَّحَرة بين الاشوريين والبابليين قد أعطى برهاناً على هذا القول في تفسيرهِ للآجرَّة البابليَّة المرقومة ٤٠٣٠ في قائمة الآثار المسماريَّة المصونة في المتحف البريطاني ففسَّرها كما يلي (١

١ اذا اصبع رسمت صورةً في اعلى القصر اسرع الساحر

٢ اذا اصبع رسمت صورةً في طنف (٢ القصر كانت كلمةً كاذبة غير تامَّة (٣

٣ اذا اصبع رسمت صورةً في وسط القصر استولى اللصوص على البلد

٤ اذا اصبع رسمت صورةً في خلف القصر نال السلطةَ ساحرُ البلد الاجنبي

انَّ التشابه الموجود بين هذه الكتابة العرافيَّة وما ورد في سفر دانيال لجديرٌ بالنظر أمَّا العلماء فلم يتجاسروا ان يحكموا في ما بين هذه الخطوط وآية دانيال من العلاقة خوفاً من ان يكون الدكتور بواسيه غلط في تفسيرهِ فيصاحهُ بتفسير آخر يزيل هذا الشبه الغريب

لكنَّ العلَّامة د. برنس من اساتذة الولايات المتَّحدة استلفت حديثاً انظار العلماء الى نصٍّ آخر بالحرف المسماري شبيه بكتابة دانيال يُذكر فيهِ ما حدث في وليمة بلشصَّر فمّا يُقرأ في تاريخ اسور بنيبال (ج ٣ من ١١٩ الى ١٢٧) ما تعريبهُ:

« في بعض الايَّام اخذ النوم احد الكتَّاب فرأى رؤيا فوجد على وجه الاله سين (وهو اله القمر عند البابليين) مكتوباً كلَّ ما نواهُ الشرّير على ملك اشور الذي قدَّرتُ لهُ موتاً ذعافاً »

---

١) راجع مجلَّة الآثار الكتابيَّة (Proceedings of the Soc. of Biblical Archæology, 1896, p. 237)

٢) في الاصل « نَبسات » وهي لفظة لم يُعرف بعدُ معناها

٣) من المحتمل انَّ كاتب هذا النصّ يشير الى خلل في الكتابة التي كان ينسخها

فالمعلّم پرنس في تفسيره لهذا النصّ البابلي يزعم انّ المقصود « بوجه الاله سين » صورة الهلال ولعلَّ هذه الصورة كانت مطليَّة بالذهب او بالنحاس وكانت معلّقــة على جدار احد هياكل الآلهة البابليّة او ربّما يشير الى اتساع الهلال عند طلوع القمر في جو بلاد ما بين النهرين المستعر حرارة بعد غروب الشمس بقليل

فان كان في جملة الآثار البابليَّة القليلة الوارد فيها ذكر السحر والعرافة والامور الفائقة الطبيعة قد وُجِد حتَّى الآن كتابتان (الواحدة منها تذكر ما جرى في المنام) فما قولك بالوف الوف من الآثار التي فُقدت فليت شعري كم يكون فُقِد من الآثار التي لا تُحصى والوارد فيها مثل هذه التصوُّرات . ومن ثمَّ يجوز القول بان حدوث المعجزة المرويَّة في سفر دانيال يدلُّ على توسُّط ربَّاني غاية في الموافقة ليؤثّر في عقول سَحَرة بابل ومجوسها وعرَّافيهـــا

وما يستحقُّ الثناء لنَّ المسيو بولّسيه بضلاعتهِ في معرفة لغة البابليين والاشوريين قد توفَّق لشرح آية دانيال . وممَّا فسَّرهُ معنى كلمة כתל (كتل) الواردة في هذا الفصل (٥ : ٤) فانَّ معناها ليس هو الحائط والجدار كما ظنُّوا ولكن الحجرة والقاعة وكأنَّ دانيال يشير الى حجرة متَّصلة بمكان الوليمة بباب واسع

فان كان الملك جالساً على المائدة ووجههُ الى هذا الباب فلا غرو ان يكون الملك رأى الظــلّ الذي القاهُ نور المصابيح على حائط الغرفة المواجهة واليد السريَّة التي ظهرت لــهُ . وهذه الآية في سفر دانيال وردت كما يأتي: « وفي تلك الساعة ظهرت اصابع يد انسان وكتبت تجاه المصابيح على حائط « كتل » القصر الملكي » ليس كما شرحوا « على كلس حائط القصر » والمسيو بولّسيه فسَّر (גירא) بحائط لا بكلس

فمن هذه الشروح يظهر انــهُ يوجد علاقة وثيقة بين نصّ دانيـــال والتصاوير والاعتقادات الشائعة في بلاد ما بين النهرين . وكذلك يلوح انهُ يوجد رباط بين الوزن بالميزان وتصوّرات قدماء الفرس (الذين كانوا بلا شكّ من اصل بابليّ) كما هو مقرَّر في كتابهم المقدّس المعروف بافستا (Avesta) . فقد ورد في الفصل المعنون « مينوگي خيراد » امتحان النفس في الجحيم حالًا بعد الوفاة: « تقوم النفس في وسط الالهة مترو وسروش ورشنو الذين يحاسبون بالعدل ويزنون الاعمال بميزان الارواح فهناك لا محاماة

ولا اخذ بالوجوه فيأخذ كلٌّ حقَّهُ من سيّد او مسود من صالح او طالح دون ادنى محاباة او تحزُّب »

وهذا المعنى نفسهُ في كتب الويدة (Védas) عند الهنود فترى مثلًا في كتاب ستاپاتا برهمانا ما يلي : « انَّ الخير والشرَّ اللذين يصنعهما المرء يُجعلان في ميزان فايٌّ منهما رجح تبعهُ المرء . فعليهِ اذن ان يكثر من الصالحات في هذا العالم ويجعلها في ميزانهِ حتَّى ينجو في العالم الآخر من هذه المحنة برجحان اعمالهِ المبرورة (١ »

ومثل هذا المعنى ايضاً عند قدماء المصريين كما يُرى في كتابهم المعروف بكتاب الموتى وعند غيرهم من الشعوب وقد اكتفينا بذكر اقوال الايرانيين والهنود لاشتقاقها على ما يُرجَّح من آداب البابليين

عيد الصليب

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ليس مسيحيٌّ يجهل ما تؤدّيهِ الكنيسة جمعاء شرقاً وغرباً من الاكرام والتبجيل لصليب فادينا فانَّها لا تكاد تباشر امرًا دينيًّا فلا تتلو صلاةً ولا تقيم سرًّا من اسرارها ولا تأتي عملًا مبرورًا دون ان تستظلّ تحت لواء الصليب فتستمطر بركاتهِ وتستمدُّ عونهُ وتمثّل صورتهُ واذا تخوَّفت نائبة او تهيَّبت معاديًا استعصمت بحبلهِ ولاذت بجاههِ . وهي في كل ذلك تتعقَّب آثار الكنيسة الاوَّليَّة محافظةً على تقاليد متواترة ترقى الى عهد تلامذة المسيح ورسلهِ الاطهار

وكان النصارى في كلّ اين وآن يُراعون هذه العادة ويألفون هذا الاكرام جريًا على سَنَن الكنيسة أمّهم وذلك منذ القرون الاولى للميلاد كما يشهد على ذلك الكتبة الاوَّلون كترتليان ومينوتيوس فالكس والقديس قبريانوس واوريجانوس وغيرهم . أخبروا انَّ المسيحيين في عهدهم لم يتولَّوا امرًا مهما كان زهيدًا دون ان يتَّسموا بسماء الصليب

(١) راجع مقالة العلّامة جكسون في هـذا الصدد (A. W. Jackson, Xe Congrès International des Orientalistes: « *Weighin the soul in a balance after death* »

وكانوا يرسمونهُ على جبهتهم ويصوّرونهُ على مداخل ابنيتهم ويشيرون اليهِ بالاشكال الرمزيّة كالأنجر والعصاة والحرفين اليونانيّين T و X (وهو اوّل حرف اسم المسيح باليونانيّة) الى غير ذلك ممّا كان ينبّه افكار المسيحيين الى صليب المسيح واسرار آلامهِ

وكانت الكنيسة تخصّ بعض ايّام سنتها بهذا الاكرام فتجدّد في قلوب المسيحيين ذكر آلة خلاص البشر التي اتمّ عليها ابن الله ذبيحتهُ الدمويّة وتُنعش في صدورهم الرغبة ليشربوا على مثالهِ كأس المرارة والاوجاع . وكانت الأيّام السابقة لعيد الفصح مرصدةً لذلك على نوع اخصّ . ولا عجب اذ انّ الفصح كان تذكار قيامة المسيح من القبر وقد سبق الصلبُ القيامة فما كانت الكنيسة لتنسى آلامهُ وتحتفل بقيامتهِ وقد كتب الرسول (غلاطية ٦ : ٥) : « اذا كنّا قد غُرسنا مع المسيح على شبه موتهِ فنكون على شبه قيامتهِ ايضاً »

*

على انّ هذا الاكرام زاد رونقاً لمّا خرجت الكنيسة من ظلمة الدياميس وكسر نير عبوديّتها . فصار تعظيمها للصليب يزداد يوماً فيوماً

وكأنّ الله نفسهُ اراد ان يثبت تعبّد المسيحيين لصليب ابنهِ المتجسّد وتوقيرهم لذلك العَلَم المقدس بآية جليلة ظهرت لقسطنطين وجنودهِ سنة ٣١٢ اذ كان سائراً لمحاربة مكسنطيس فرأوا في رائعة السماء على مثال النور شكل الصليب مع هذه الكلمات: « بهذا الشكل تغلب » فاتّخذ لجيشهِ رايةً على ذلك النمط فدخل رومية ظافراً وكسر اصنامها وابطل عبادة طواغيتها

وكانت هذه الآية الاولى كمقدّمة آيات أُخرى عديدة جرت بواسطة الصليب المقدّس واضرمت في قلوب المسيحيين حبّاً زائداً نحو هذا الرمز الخلاصيّ . وكانوا مع ذلك يتوقون الى اكتشاف ذلك العود الثمين الذي عليهِ مات المسيح فقدّسهُ بدمهِ الزكيّ . لكنّ هذه الذخيرة الثمينة كانت توارت مع بقيّة ذخائر الآلام مذ نُكبت اورشليم بتلك النكبات الهائلة التي لم تُبقِ فيها حجراً على حجر . وكان الوثنيّون لمّا نفوا عنها اليهود واستوطنوها سعوا ايضاً بازالة كل تذكار نصرانيّ من شأنهِ ان يعزّز دين المسيح ولذلك اهالوا على قبرهِ المقدّس الردم والقمامة لئلا يطّلع عليهِ احد فيستخرج هذه الدرّة المكنونة من مدفنها


راية قسطنطين

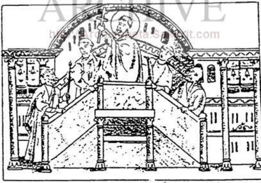
وبقي الامر على ذلك الى أن الهم الله ام قسطنطين الكبير القدّيسة هيلانة فسارت الى القدس الشريف واستدلّت على موضع القبر الجليل فتوفّقت الى اكتشافهِ . وكان عود الصلبوت في جملة الكنوز الدفينة التي اسعدها الله بوجوده وتحقّقت صحّتهُ بتيامة ميتٍ وُضع عليهِ . وكان ذلك في اليوم ١٤ من شهر ايلول من السنة ٣٢٦ كما ورد في الرحلة المنسوبة الى القديسة سلفيا واثبت ذلك القديس اندراوس الاقريطشي والرحّالة ثاودوسيوس (١ ففي ذلك اليوم رُفع الصليب المقدّس وعُرض لاوّل مرّة لسجود الشعب المتقاطر لاكرامهِ وقال في الميناون الباسيليّ: « وهذه الحفلة كانت كرمز لعيد ارتفاع الصليب »

ثمَّ شاع هذا الخبر في اربعة اقطار المعمور فاهتزَّ العالم المسيحي طربًا لهذا الاكتشاف العجيب . ونمت العبادة نحو الصليب الحيي لاسيَّما بعد ان وُزعت منهُ بين الكنائس قطع صغيرة كان يرسلهـا اسقف اورشليم للامراء والاساقفة وقد شهد على ذلك القديس كيرلس الاورشليمي (في تعليمهِ الرابع عدد ١٠)٠على انهُ لم يكن بعدُ أُقيم موسم سنويّ لتكريم عود الصليب وانما صار هذا بعد عشر سنوات لمَّا انجزت القديسة هيلانة الكنيسة العظيمة التي شيَّدتها فوق قبر المسيح ودعتها « شهادة القيامة » (Μαρτύριον τῆς Ἀναστάσεως) فدعت الاساقفة من كل صوب لتدشين هـذه الكنيسة البديعة الصنع فأُقيمت لذلك حفلة شائقة على عهـد القديس مقاريوس الاورشليميّ بحضور عدد وافر من الاساقفة الذين وفدوا الى المدينة المقدَّسة بأمر الملك قسطنطين بعد انتهاء مجمع صور . وقد تمت هذه الرتب الهيبة في ١٣ ايلول من السنة ٣٣٥ وفي ذلك اليوم عُرض الصلبوت الكبير المقدَّس على رؤوس الاشهـاد من فوق مرقى (ambon) الكنيسة فهتف الشعب بأصوات التهليل صارخًا بملء فيهِ « كيرياليسون » اي « يا ربّ ارحم »

(١ راجع S. Silviæ peregrinatio, *Gamurrini*, 108–S. Andr. Cret., *de cruce* I., c. 62 – Theodosius, *de Terra Sancta*, c. 5

فدُعي ذلك اليوم المشهور « عيد تجـديد كنيسة الصليب » (τὰ ἐγκαίνια τῆς ἐκκλησίας τοῦ ἁγίου σταυροῦ) كما روى صاحب التاريخ الفصحي [١] وصار العيدان مذ ذاك يتجدَّدن في كل سنة اعني في ١٣ ايلول عيد تدشين كنيسة القيامة وفي ١٤ عيد الصليب . قال المؤلف المذكور : « ومذ ذاك الحين بدأ عيد ظهور صليب الربّ » (ἐντεῦθεν ἤρξατο ἡ σταυροφάνεια) فدعاهُ ظهور الصليب الَّا انَّ الاسم الذي شاع بعد ذلك هو ارتفاع الصليب (Exaltatio crucis, ὕψωσις τοῦ σταυροῦ) وهـذا الاسم ورد في الآثار الكنسيَّة القديمـة . قال جاورجيوس الاسكندريّ في ترجمـة القديس يوحنَّا فم الذهب انَّ « عيد ارتفاع الصليب » كان من جملة الحفلات الجارية في القسطنطينيَّة على عهد هذا القديس

لمَّا سبب هذه التسمية فلكون الاسقف كان يعرض في ذلك اليوم صورة الصليب مرفوعاً ليشاهدهُ الكلّ



الاسقف يعرض الصليب مرفوعاً ليشاهدهُ الجمع

او دُعي بذلك بالاحرى دلالةً على المجد الذي ينال في ذلك اليوم الصليب الطاهر فيتحقَّق قول الربّ في الانجيل (يو ١٢ : ٣٢) : « وانا اذا ارتفعت عن الارض جذبتُ

١) راجع مجموع مين Chronicon Paschare, PP GG. xcii, 713-714 ثم كتاب كلندار الكنيستين للاب نيلس اليسوعي Nilles, *Kalendarium manuale*, I, 275

الىَّ الجميع وانَّما قال هذا ليدلَّ على ايَّة ميتة كان مزمعاً ان يموتهـا ». وقول الرسول (فيلبي ٢ : ٨ - ٩) : « وضع نفسهُ وصار يُطيع حتَّى الموت موت الصليب فلذلك رفعهُ الله . . . »

*

ومع انَّ عيد الصليب انتشر في الكنيسة منذ ذلك العهد واُحتفل بهِ في الشرق والغرب باتفاق عجيب الَّا انهُ لم يبلغ رونقهُ الذي جرى لهُ بعد ذلك في زمن الملك هرقل ومن المعلوم انَّ كسرى انوشروان كان غزا مملكة الروم بجيش جرَّار ليطلب بدم موريقي من قاتلهِ فوقا سنة ٦١٥ فانتصر على عدَّة مدن من جملتها اورشليم فنهبها وسلب آنيتها المقدَّسة وسبى اهلها وبينهم بطريركها القديس زكريَّا. وكان الصليب المقدَّس في جملة ما اخذهُ انوشروان. وبقي الصليب في قبضة الفرس حتى قام هرقل الملك واستظهر عليهم واشترط على سيدويس بن كسرى ان يردَّ السبي ويرجع ذخيرة الصليب وكان ذلك سنة ٦٢٨ فعاد هرقل الى حاضرة ملكهِ منتصراً وكانت الشعوب تتقاطر على ممرّهِ لتكرم الصلبوت الالهي حتى انَّ سيرهُ كان اشبه بنصر متواصل. ولمَّا وصل بهذا الكنز الى القسطنطينيَّة جرى لهُ من الاستقبال الفائق والتبجيل الشائق ما يقصر عنهُ كل لسان وكان دخولهُ الى المدينـة في ١٤ ايلول اليوم المخصَّص سابقاً بحفلة ارتفـاع الصليب. فكانت الخيـل المطهَّمة تجرُّ العجلة الملكيَّة وهرقل جالسٌ وعلى رأسهِ تاج الملك وعلى كتفيهِ الارجوان وفي يدهِ صليبٌ من ذهب مرصَّع بالجواهر وكان دخولهُ من البـاب المدعو باب الذهب. وامام عجلتهِ كان الكهنة بحللهم الفاخرة يحملون عود الصليب المقدَّس تحفُّ بهِ ٣٠٠ راية من أعلام الفرس. فاستقبلهُ البطريرك سرجيوس بكل عظمة ودعا للملك وعرض الصليب لاكرام الشعب

ولمَّا كان ربيع السنة المقبلة انجر هرقل الى القدس الشريف ومعـهُ عود الصليب فجرت في فلسطين حفلات جديدة من مرسى يافا الى اورشليم لم يجرِ مثلهـا من قديم الزمن. وخرج البطريرك زكريَّا مع لفيف الكهنوت والرهبان الى مسافة بعيدة لاستقبال الوفد الملكي. ولمَّا وصل الملك الى باب المدينة نزع عنهُ بزَّتهُ الفاخرة وحمل على عاتقهِ عود الصليب الى ان بلغ بهِ كنيسة القيامة حيث سلَّمـهُ للبطريرك فعرضهُ على الشعب

من مكان مرتفع فضجَّ الحضور لهذا المنظر وكانت دموع الفرح تنهمل من مآقيهم وهم يشكرون الله على وجود كنزهم المفقود

ثم بلغ الخبر كنائس الغرب فشاركت المسيحيين الشرقيين في افراحهم واحتفلت باعياد عظيمة شكرًا لله على هذه النعمة السابغة . وممَّن امتازوا بهذه الحفلات اهل رومية فأنهم طافوا في المدينة واقاموا في كنائسها رتبًا خصوصيَّة ونصبوا لهرقل تمثالًا يذكِّر ناظريه بما ناله من الشرف العظيم بازالته لكآبة الكنيسة الحادَّة على راية الخلاص منذ ١٣ سنة

*

بقي علينا ان نذكر ما خُصَّ به عيد الصليب من الامتيازات التي تجعلهُ حتى يومنا هذا من المواسم الممتازة . ولنباشرنَّ بذكر الكنيسة الرومانيَّة ام الكنائس ومعلّمتهنَّ فانَّ عيد ارتفاع الصليب عندها من الاعياد الممتازة وان لم تحتم على اولادها بالفراغ من الاشغال اليدويَّة . وفي صلواتها المفروضة وطقوسها ما يُشعر بانها تعتبر هذا اليوم بين الأيام المكرَّمة . وزادت على ذلك انها خصَّت منذ القرن الثامن يومًا آخر بذكر اكتشاف الصليب وهو الثالث من أيَّار جعلتهُ في جوار عيد الفصح لتؤذن بفرحها عن وجود عَلَم الخلاص

امَّا الكنيسة اليونانيَّة فانها تعتبر هذا العيد من اكبر اعيادها . ولم تكتفِ بيومٍ واحد بل قدَّمت عليهِ ثلاثة ايَّام متوالية كان يُعرَض فيها الصليب المقدَّس لاكرام المسيحيين فتبتدئ باليوم العاشر من ايلول . ذلك فضلًا عن يومين آخرين تخصُّهما بالسجود للصليب وهو الاحد الثالث من الصوم الكبير . وفي ١ آب دفعًا للأمراض

وقد جاء في الرحلة المنسوبة للقديسة سلڤيا ما كان يجري من الحفلات في هذا النهار في كنيسة اورشليم حتى لنَّ الزوَّار كان يأتون لحضورها من مصر والصعيد والشام وما بين النهرين وربَّما اجتمع اربعون او خمسون اسقفًا لهذا المشهد الجليل (Peregrinatio S. Sylviæ, p. 109) وكانت هذه الحفلة تتوالى اياما . وممَّا تفرَّدت به الكنيسة اليونانيَّة انها في يوم عيد الصليب تنهى عن أكل اللحم والبياض اكرامًا لآلام المسيح

وقد اخذت الكنيسة الارمنيَّة عن الكنيسة اليونانيَّة تعظيمها للصليب المقدَّس في

١٤ ايلول . وهي تدعوهُ « عيد الصليب الكبير » (ܥܐܕܐ ܪܒܐ) تمييزًا لهُ عن حفلات أخرى لاكرام الصليب . وهو عندهم احد الخمسة الاعياد العظيمة (ܥܐܕܐ ܪ̈ܘܪܒܐ) التي يستعدُّون لها باسبوع من الصوم ويحتفلون بطقوس العيد مدَّة جمعة تامَّة مباشرين هذه الحفلات في الاحد الذي يسبق ١٤ ايلول وينتهون منها في الاحد التالي . ولكل يوم رُتَب خاصَّة جليلة يذكرون فيها تدشين الكنيسة وآثار الصليب . وفي اليوم الرابع عشر فراغ من الاشغال اليدويَّة وكذلك في غد العيد بطالة . الَّا انَّ بعض هذه العادات قد أُبطلت في زماننا وفي الكلندارات الكرشونيَّة والسريانيَّة المخطوطة المصونة في مكتبة الواتيكان ما يشهد على انَّ الكنائس السريانيَّة من كلدان وسريان وموارنة كانوا يقدّمون على عيد الصليب ثلاثة ايام للسجود لهُ كما جرى في الكنيسة اليونانيَّة (١.

امَّا الكنيسة القبطيَّة فانَّها تعظّم ايضًا هذا العيد وهو واقع عند القبط في ١٧ من شهر توت وهم « يدورون في ذلك اليوم في كل الكنائس والهياكل والصانع والاديرة ويرمون الصليب في البحر (اي النيل) تبركًا بهِ وبمن صُلب عليهِ . ويتَّخذون في هذا العيد الريحان واجناس الزهور » (كما ورد في كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة لابن سباع ص ١٧٠—١٧١)

ومن العادات المألوفة في مدن الشام وجبل لبنان ايقاد النيران واطلاق الاسهم النـاريَّة في الجوّ الى غير ذلك من شارات الفرح ودلائل الابتهاج . ومنهم من كان يرسم في ذلك اليوم صورة الصليب على بعض اعضائهِ وشمًا بالنورة

اما اقاويل الآباء والخطَبة في هذا العيد كالتسابيح البيعيَّة المملوءة عذوبة وتقى فلا يفي بها احصاء . فانَّ الكتب الكنسيَّة مشحونة بها وهي تجمع بين المعاني المبتكرة والالفاظ الرقيقة والتشبيهات البديعة . نخصُّ منها بالذكر خطبة القديس سفرونيوس التي قالها في هذا العيد . وكذلك يروى خطاب للذهبي الفم في هذا الموضوع عينهِ . ومن آثار الكنيسة الكلدانيَّة « ترجام لعيد الصليب المعظَّم » غاية في البلاغة تجدهُ في تراجيم اليَّا الثالث ابي الحليم المعروف بابن الحديثي (طبعة الموصل ٢٢٩—٢٣٤) وقد وقفنا في احد مجاميع العظات التي في مكتبتنا الشرقيَّة (اطلب وصفنا لهُ بين اعداد

(١ اطلب Nilles, *Kalend. manuale*. p. 273, note

المخطوطات ع ٦١٠ ص ٥١٧—٥١٩) على خطبة للقديس افرام السرياني في رفع الصليب المكرَّم لم نجدها في مجموع كتاباتهِ المطبوعة ولعلَّها مفقودة في الاصل السرياني وهي اقدم مما ورد في اعمال الآباء عن ارتفاع الصليب فاحببنا ان نختم هذه المقالة بذكر بعض شذرات منها:

«تعالوا يا اخوتي واحبأْني لنفرح اليوم قدَّام المسيح الهنا. تعالوا يا اخوة اليوم لنبتهج مع جنس البشر الارضيين. تعالوا لنسجد قدَّام صخرة الاقرانيون المقدَّسة. تعالوا نتلقَّى عود الصليب المكرَّم. لانَّ اليوم ارتفع الصليب وخلَّص العالم من الطغيان. اليوم ارتفع الصليب وهربت الشياطين. اليوم تجدَّدت الكنيسة واستنارت الخليقة وسُلب الموت وفُضح الجحيم وتحطَّمت ابواب النحاس وفرحت قوَّات السماء. يوم فتح اللصّ باب الفردوس وأُعتق آدم ابو البشر ومُزّق الصكّ الذي كان عليهِ . . . برسم الصليب نصب الله فردوس النعيم في المشرق. برسم الصليب انبع الله عين ماء في وسط الفردوس وقسمها اربعة انهار. برسم الصليب بنى هابيل مذبحاً لله واصعد عليهِ قرباناً مقدَّساً. برسم الصليب صنع نوح التابوت كما امرهُ الله . . . برسم الصليب بنى ملشيصادق لله مذبحاً وقدَّس عليهِ السميذ والشراب وبارك لابراهيم. برسم الصليب بنى ابراهيم مذبحاً لله وكتَّف ابنهُ الحبيب ورفعهُ على المذبح . . . برسم الصليب مسح موسى الابواب بدم الخروف في ارض مصر وخلَّص العبرانيين من الموت المرّ. برسم الصليب ضرب موسى بعصاتهِ ماء النيل وقلبهُ الى دم. برسم الصليب بسط موسى يدهُ على البحر فانشقَّ ماؤهُ وجازت الامَّة على اليبس . . . برسم الصليب شقَّ موسى بعصاتهِ الصخرة وسالت المياه الحيَّة . . . فالسلام عليك ايها الصليب الكريم انت مجد الانبياء. انت بهجة الرسل. انت قوَّة الرهبان. انت هدم عبَّاد الاصنام. انت ابو الايتام. انت عزاء الارامل. انت صائن العذارى. انت حافظ الاطفال. انت نور الذين لا نور لهم . . السلام عليك لاجل انهُ عُلّق عليك كلمة الله الازليَّة الذي هو الابن الوحيد الذي لهُ السبح مع الاب والروح القدس الى الابد

مطبوعات شرقية جديدة

תורה נביאים וכתובים

Biblia Hebraica, adjuvantibus Beer, Buhl, Dalman, etc. etc. edidit R. Kittel. *Pars* I. x-552, 8°. 1905. *Hinrichs.*

التوراة بالعبرانيَّة

قد بُثت طبعات التوراة العبرانيَّة عدداً لا يضبُطهُ احصاء. على انَّ هذه الطبعات مع وفرتها لم تُغنِ العلماء فائدةً تُذكر لانَّ غاية همّ متولّي طبعها ان يمثّلوا النصوص

بحركاتها ونبراتها تمثيلاً دقيقاً لا يجد فيه المنتقد لومة لائم . ومن ثمَّ كان يرغب دارسو الكتب المقدَّسة ان يقفوا على النسخ القديمة ورواياتها المختلفة مع الاصلاحات التي تقرَّرت صحَّتها لدى اهل الانتقاد . ولذلك باشر هوبت (Haupt) طبعتهُ ذات الالوان المتعدّدة دلالةً على النسخ المختلفة . لكنَّ هوبت تعدّى طورهُ وادخل اصلاحات لا سند لها في العلم فمسخ عدَّة آيات وابدل معناها . وكفانا دليلًا على قولنا سفر اشعيا النبيّ الذي تولّى نشرهُ شان (Cheyne) بصحبة هوبت — ولذلك تلقَّينا بمزيد الشكر هذه الطبعة الجديدة التي عُني بنشرها الدكتور كيتل فانهُ مع مراعاته للاصل الدارج بين اليهود والربَّانيين قد استفاد من النسخ الخطّيَّة المتعدّدة فدلَّ على رواياتها المهمَّة في ذيل الكتاب كما انهُ استعان هناك بدروس العلماء فاصلح ما رأى اصلاحهُ واشار الى الاسانيد التي لستند اليها في اصلاحاته . وممَّا استحسنَّاهُ في هذه الطبعة ايضاً افرازهُ بين النثر والقاطيع الشعريَّة التي ترى متفرّقة في اسفار موسى. لكنَّنا لا نراهُ اتّبع في ذلك قاعدةً ثابتة . فما السبب مثلاً لان جعل في الفصل السابع عشر من التكوين آخر الآية الاولى مع الشعر بينما ترك في جملة النثر الآية ١٧ منهُ — ونشكر ايضاً المسيو كيتل على صيانته لصورة الحركة المسماة قمص خطوف التي غيَّرها البعض حائدين عن اصطلاح الربَّانيين . وخلاصة القول اننا نجد هذه الطبعة جامعةً بين خواصّ الطبعات القديمة وفوائد الدروس المستحدثة فتوافق الدارسين اكثر مما سواها

الاب ي . نيران

SEMITIC STUDY SERIES — IV. Selection from the **Prolegomena of Ibn Khaldun, with notes and an English-German Glossary** by **Duncan B. Macdonald.** *Leiden, Brill,* 1905, VI-109.

نخبة من مقدّمة ابن خلدون

ان طلبة المدارس الاوربيَّة يحتاجون الى منتخبات من التآليف الكبرى التي لا يمكن النظر فيها خارجاً عن الكاتب . ومن ثمَّ قد اتّفق قومٌ من علماء المستشرقين على طبع كراريس صغيرة الحجم قليلة الثمن يعتمد عليها المدرّسون في الكلّيات الاوربيَّة لدروسهم السنويَّة . وقد طبعوا من ذلك عدَّة منتخبات في اللغات الساميَّة منها في العربيَّة من تاريخي المقريزي والبلاذري ومن سيرة ابن هشام ومن تهذيب الاسماء للنووي .

واليوم قد أُرسل الى ادارة المشرق كرّاس منها يتضمَّن نخبة من مقدّمة ابن خلدون من اوّلها الى مفتتح فصولها. وفي ذيل هـذا المنتخب بعض ايضاحات وفوائد وقد أُلحق به جدول للالفاظ الغريبة مشروحة بالانكليزيّة والالمانيَّة. وطُبع الكتاب جليًّا وان وقع في شكلهِ بعض اغلاط كقولهِ (ص ٣٨ س ١١) « دُرس » والصواب « دَرَسَ » وقولهِ (١٠:٢٣) : « اسماعَ الغوغاء » والصواب « الغوغاءِ » وقولهِ (٦:٧-٨): « وابن الكلبي البيهقيّ » والصواب « والبيهقيّ »

Hartwig Derenbourg: Opuscules d'un Arabisant (1868-1905) *Paris, C. Carrington.* 1905, pp. 335.

مقالات احد المستعربين

اسم الاستاذ هرتويك درنبورغ شهير بين المستشرقين بما نشرهُ من التآليف العربيَّة كديوان النابغة وترجمة أُسامة بن منقذ وقائمة مخطوطات الاسكوريال وكتاب سيبويه. وكان نشر ما خلا ذلك عدَّة مقالات في مجلَّات مختلفة فأحبَّ جمعها في كتاب واحد لئلا تفوت القرّاء فائدتها. وأخصّ ما يتضمَّنهُ المجموع ترجمة احد مشاهير المستشرقين وهو الايطالي ميشال اماري (١٨٠٦-١٨٨٦) كان نشرها في جريدة العلماء سنة ١٩٠٢ وهي لا تقلّ عن ١٦٠ صفحة اعني نصف الكتاب. ومما يستحقّ الذكر اربع رسائل لملك غرناطـة ابي الحسن علي كتبها بين السنة ١٤٧٠ و١٤٧٥ م الى دون دياغو القسطيلي وابنهِ . وكذلك نبذة في صحّة رواية عنتر وشعرهِ. وفي آخر الكتاب لمَحـة في أُسرة المؤلف وخصوصاً ترجمـة والدهِ يوسف درنبورغ وترجمـة مصنّف الكتاب مع قائمة منشورات الاب وابنهِ. والمؤلف يُعلمنا في ختام ترجمة حالهِ انَّ « بهِ تنقرض سلالة درنبرغ المستشرقين اذ لا ولد لهُ ولا اولاد اخ ». يا للاسف!

Proverbes Arabes de l'Algérie et du Maghreb, recueillis, traduits et commentés par Mohammed ben Cheneb, T. I, *Paris, Ernest Leroux*, 1905, in-8, III-302.

الامثال العربيّة الشائعة في الجزائر والغرب

هذا جزء اوّل من تأليف نفيس اعتنى بجمعهِ احد اساتذة مدرسة مدينة الجزائر الاديب محمَّد بن شنب وهو يحتوي ٩٢٦ مثلاً على سياق حروف المعجم من حرف الالف الى آخر الزاي. ومن يطّلع على هذا المجموع يتبيَّن ما لصاحبهِ من سعة المعارف

باحوال الشرق وتآليف الشرقيين فضلًا عن كونهِ متخرّجاً على آداب المستشرقين عالمًا بمصنَّفاتهم كانهُ واحدٌ منهم . ولم يكتفِ جناب المؤلف بسرد الامثال في لفظها لكنَّهُ نقلها الى الافرنسيَّة واشار الى مظانّها وقابل بين امثال العامَّة وامثال الادباء وألحق كل مثل بملحوظات لغويَّة وادبيَّة تُضاعف فائدتها . فترى من ثمَّ انَّ هذا المجموع ليس مفيدًا فقط لاهل الجزائر والمغرب بل لكل محبّي الآداب العربيَّة . وقد وقع في الطبع بعض اغلاط يسهل اصلاحها في طبعة ثانية كقوله مثلًا (ص ٢٢٤) : « خذاهُ برمَّته » صوابهُ « اخذهُ برمَّتهِ » . وقوله (ص ٢٠٩) « التَّيَمُّم » والصواب « التَّيَمُّم » وقوله (ص ١٢٨) « تعهيًا للنملة » والصواب « تهيًّأ للنملة » . وكذلك يُصلَح المثل في الصفحة ٨ « أدعِ الجار ولو جار » والصواب « أَدْعُ » واحسن منهُ « إِرْعَ الجار » . ونتمنَّى في الختام بروز الجزء الثاني باقرب وقت مؤملين بان يكون مزدانًا بالفهارس تتمَّةً للفائدة

الكهنوت

لابينا المعظَّم في القديسين . . . بطريرك القسطنطينيَّة . . . يوانيس الانطاكي

عُني بطبعه حضرة الخوري قسطنطين الباشا ب . م . (طبع في بيروت ١٩٠٥ ص ٣٠٧)

حضرة الاب قسطنطين الباشا مولع بنشر الآثار النصرانية القديمة وهو عشق محمود يستحقُّ الثناء العاطر . وممَّا نشرهُ آخرًا كتاب الكهنوت للقديس يوحنا فم الذهب معرَّبًا تعريبًا قديمًا عن نسخة وجدها في احدى مكاتب بيروت . ولا نصف هنا هذا الكتاب مع شهرتهِ . امَّا التعريب فهو في الغالب كما يظهر موافق للاصل اليوناني . فأدَّى حضرة الاب بنشرهِ خدمةً مشكورة للاكليروس الشرقيّ . وكنَّا وددنا لو وصف حضرة الاب نسخةَ المخطوطة وصفًا مستوفيًا لتعريف مزاياها وجدَّ في البحث عن المعرِّب وزمانهِ لعلَّهُ يستدلُّ عليهِ يقينًا او حدسًا . وكذلك لم نستحسن طريقتهُ في اصلاح الاصل بمراجعتهِ على الترجمة الافرنسية بل كان الأَولى ان يُطبع الاصل كما هو وتُجعل الاصلاحات في الذيل لئلَّا يختلط الاصل مع الاصلاح الحديث . ونحن لا نشكُّ انَّ من هذا الكتاب نسخًا أُخرى في مكاتب الخاصَّة او الخزائن العمومية الاوربية كانت تعينهُ على طبع الكتاب مصحَّحًا . وعلى كل حال نشكر همَّة ناشرهِ ونحضُّ كلَّ الاكليريكين على مطالعة هذا التأليف النفيس بل على درسهِ والتأمل في معانيه

شذرات

❋ ملحق لامثال الدوام ❋ كنّا في مقالتنا المدرجة في العددين ١٤ و ١٥ من المشرق تحت عنوان « امثال الدوام » قد طلبنا من القرّاء الكرام ان يتكرّموا علينا بالاقوال الشائعة في جهاتهم بهذا المعنى اتماماً للفائدة وقد سرّنا ان هذا الطلب صادف قبولاً لدى البعض فاجابوا ملتمسنا بارسالهم شيئاً من هذا فنشكر لهم اريحيتهم لا زالوا انصاراً للادب

اتتنا رسالتان الاولى من حضرة الاب الغيور سليمان غانم المرسل اليسوعي في بلاد عكّار والثانية من جناب الكاتب الاديب إسكندر عيسى افندي المعلوف من زحلة ذكر فيهما الكاتبان بعض امثال فاتتنا في مقالتنا وقد تيسّر لنا على إثرها جمع غير ما نشرناهُ فاحببنا ان نُتبع المقالتين بهذا الملحق ا. ي. الجميل

❋ كانون ❋ ١ً كل رعدة بكانون ثلجة بشباط. (وكنّا ذكرنا): كل رعدة باذار ريّة بنوّار = ٢ً بكانون كنّ ببيتك جواة ملحك وزيتك = ٣ً ليالي كانون شيّبت النسر (من طولها وكثرة بردها ومخالفة رياحها). وفي ٤ منهُ عيد البرباره فيقال: ٤ً بعيد البرباره ياخذ النهار من الليل نطة فاره. (ويروى في حلب وهو اصحّ): النهار طول نطة فاره = ٥ً سعد ذبح ما خلّى الكلب نبح (١ (ويروى في حلب وهو اصحّ): سعد الذابح بيخلّي الكلب على الباب نابح. = ٦ً وكنّا ذكرنا: بين الغطاس والميلادي اياك تسافر يا غادي. (وفي رسالة عكار بهذا المعنى) بين المواليد والدنوح عند جارك لا تروح وان رحت خذ زوادتك معك (٢. (وفي رسالة زحلة:) = ٧ً بين المواليد والقلندس (٣ عند جارك لا تقرفص وان قرفصت لا تبات يصبح عليك الثلج قامات

❋ شباط ❋ ٨ً شباط تلجه وشتاه خير من شمسه وهواه. (ويقال في حلب): = ٩ً ما بتمسّى في شباط غير صانع (حانك) الحوّاط. = ١٠ً فلان متل شباط بيعير وبيستعير وبيضل (ويظلّ) ناقص. = ١١ً مالك طرش يقوم الّا بعد مستقرضات الروم (٤. = ١٢ً اذا مرضت بالتشارين لا تصحّ الّا اذا شربت من ميّة شباط.

---

١) اي السعد الدابح وهو من منازل القمر

٢) الدنوح هو عيد الغطاس وقوله: « وان رحت خذ زوادتك معك » يعني بهِ ان كثرة الشتاء لا تعود تسمح لك ان ترجع قريباً

٣) يُراد بالمواليد عيد الميلاد والقلندس راس السنة (Calendes)

٤) راجع ما قبل عن المستقرضات في المشرق (٦٩٢)

= ١٣ً امشِ على غيم كانون ولا تمش على قا شباط

❁ اذار ❁ ١٤ً راح شباط الغدّار واجا اذار الهدّار. = ١٥ً في اذار الهدّار الراعي وعصاته ما يعرفوا باب الدار من الزلازل والامطار. = ١٦ً اذار مرعى الشطار ونيسان مرعى الكسلان. = ١٧ً في اذار بتنتقل الشمس لبرج الحوت وبتقول للبرد موت. = ١٨ً السنة باذارها. وهذا بمعنى ما كتّا ذكرناه: (ان اقبلت او امحلت اذار وراها). = ١٩ً الرزق اللي ما انقلع باذار يمّا بار. = ٢٠ً قرّ القرير راح البرد واجا الحرير

❁ نيسان ❁ ٢١ً اذار حبّل ونيسان سبل

❁ أيار ❁ ٢٢ً عشره في نوّار قزه وسنبله وزر خيار. ويقال: ٢٣ً نوار شرنقه ومشمشه وشك تتن. ويقال في حلب: = ٢٤ً أيار سحاب (اسحب) المنجل وغار

❁ حزيران ❁ ٢٥ً بسوّي الدور عيران (لبنا). في ٢٤ منهُ عيد مار يوحنا فيقال: ٢٦ً بعيد مار يوحنا يرفع الله غضبه عنا

❁ تموز ❁ ٢٧ً الجحاش البيض ما يدفا راس ذنبها الّا في عشرين تموز. (والمرأة النكودة الطالع تقول):

٢٨ً يا شوم حظي ان غسّلت بتموز ارعدت وابرقت واترلت كل نقطه كوز

❁ ايلول ❁ ٢٩ً صلّبت خرّبت (اي بعد الصليب كل شيء يُترك مهملًا في الكروم). = ٣٠ً شعنن وادخل وصلّب واعبر (١ (والبعض يقولون) : = ٣١ً عيّد واطلع صلّب واترل (٢. (وفي حلب يُقال وهو اصحّ): عنصر واطلع وصلّب واترل (اي اترل من على السطح)

❁ تشرين ❁ ٣٢ً برد التشارين توقّاه وبرد الربيع تلقّاه. = ٣٣ً قمرة تشرين الأوّل بتنقد المصرة (لان لا غيم فيها). = ٣٤ً ما في اتقى من قمرة تشرين واظلم من عتمة كانون (وعليه يروي البعض المثل الآتي على سبيل الفكاهة): تعالج الفرس والذيب في شدّة النظر قال الذيب: شفت شعره سودا بارض سودا بعتمة كانون على مسافة اربع ساعات فقالت الفرس: شفت شعره بيضا بصحن اللبن بقضيب (جبل) الثلج بقمرة تشرين. فغلبتهُ

---

١) اي عيّد الشعانين وادخل في الصيف وعيد الصليب اعبر الى الخريف

٢) اي عيّد عيد الكبير واطلع الى الجبل وعيد الصليب واترل

﴿ الفصول والبرد والشتاء ﴾ ٣٥ً الشتا ضيق ولو كان فرج . = ٣٦ً الصيف بي الفقير ولو له ام بتبكي عليه . = ٣٧ً برد الصيف احد من السيف . = ٣٨ً الدفا عفا (عافية) ولو بعز الصيف . = ٣٩ً الجز بيحرّنا والبرد بيضرّنا . = ٤٠ً بساط الصيف واسع . = ٤١ً بعيق الجدي ولا سواد العنقود (١ . = ٤٢ً شتي بمصر وربّع بالشام بتعيش مية عام . = ٤٣ً ربّنــا بيفرّق البرد على قدّ الكسوة . واذا ظهر قوس قزح يُقال: ٤٤ً شرق وغرب نَمْ عالدرب قبله وشمال فكّ الفدّان (٢ . = ٤٥ً الشهر اللي ما بيجيك منه ماهيه لا تعد ايامه . = ٤٦ً لا تحسب سنتك حتى تستغلّها

ثمّ ان جناب عيسى افندي المعلوف بعد ذكر شيْ من هذه الامثال شفعها بغيرها من اقوال العامّة المتداولة في معاني شتّى وغايتنا نحن كما ذكرنا في مقدّمتنـــا وكما يدلّ عليه عنوان مقالتنا جمع اقوال العوام المختصة فقط في الشهور وفصول العام والّا فالموضوع رحب المجال يصعب استيعابهُ في مقالة

﴿ تعدين الزئبق ﴾ لاسبانية السبق في معادن الزئبق يستخرج منها في السنة قريباً من ١٥٠٠ طن يبلغ ثمنها نحو ١٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك

اسئلة واجوبة

س سأل احد المستشرقين ١ً معنى المثل: حدّث عن الامر ولا حرج ٢ً عن الفرق بين قولهم « فلان المذكور » و « فلان المومأ اليه » ٣ً من اين اتت التاء في قول العامّة « اوّلة بارح »

اسئلة لغويّة

ج نجيب على (الاوّل) انّ المثل « حدّث ولا حرج » قيــل اوّلًا في مَعْن بن ائدة قالهُ بعض المعجبين بكرمهِ يريد « أطل الحديث عن مَعن ولا خوف عليك من المبالغة » ثمّ ضُرب مثلًا في كلّ امر لا بأس من التوسُّع فيهِ . وعلى (الثاني) انهُ ليس

---

١) اي الجدي يولد في الربيع فيبشر بقدوم فصل الصيف وسواد العنقود يبشر بالخريف
٢) اي اذا كان القوس من الشرق الى الغرب لا يعقبه مطر واذا كان من القبلة الى الشمال فكّ الفدّان واذهب الى البيت لقرب المطر

من فرقٍ في المعنى بين « المذكور » و « المومأ اليه » لكنَّ الاصطلاح الحديث بين الكتَّاب ان المومأ اليهِ تقال في من هو اعلى رتبةً كأنَّ الايماء والاشارة تجعلهُ في مقام أرفع — امَّا وجود التاء في قول العامَّة « اوَّلة مبارح » فاوهمهم ان مؤنث اوَّل هو « اوَّلة » كما يكتب البعض « ليلة اوَّلة » و « قصَّة اوَّلة »

س سأل الاديب ي. و. رحيم من وستر ماس هل تمييز الانسان للخير والشرّ من ذات طبعهِ او من استماعهِ لشرائع الدين والتعليم

تمييز الانسان للخير والشرّ

ج كل انسان يبلغ سنَّ التمييز يفرق بين الخير والشرّ من ذات طبعهِ اذا كان الكلام عن المبادئ الظاهرة الراجعة الى أُصول جليَّة واضحة كالمبدأ القائل مثلاً بان « لا تفعل لغيرك ما لا تُريد ان يُفعل بك » فاستناداً على هذا المبدأ الطبيعي المطبوع في قلب الانسان يعرف دون تعليم انهُ لا يجوز لهُ ان يقتل ان يسرق ان يزني ان يكذب امَّا الامور الوضعيَّة المنوطة بارادة الخالق فتُعرف بالتعليم وكذلك الامور التي تستدعي بعض التفكُّر والقياس فانَّ الانسان مع امكانهِ معرفتها من ذات نفسهِ الَّا انهُ غالباً يتَّصل الى تمييز خيرها من شرّها بالتعليم ومعرفة اصول الدين

س سأل بعض ادباء الروم في الشرق قال : قرأنا في البشير انَّ قداسة البابا منح لبعض الوافدين عليهِ غفراناً كاملاً وانهُ سمح لاساقفة شرقيين بمنح الغفران الكامل فهل مجرَّد منح الغفرانات يبرّر الانسان ويزكّيهِ من كل خطاياه

الغفرانات عند الكاثوليك

ج انَّ الغفرانات في الكنيسة الكاثوليكيَّة لا تحلّ من الخطايا . وانَّما الخطيئة تُحلّ بالتوبة والاقرار بالخطيئة والقصد الثابت على عدم الرجوع اليها . لكنَّ للخطيئة تبعةً وهي العقابات الزمنيَّة التي ينبغي للانسان ان يستوفيها جزاء لخطيئتهِ لما في هذه الحياة واما في الحياة الآخرة وهذه العقابات الزمنيَّة تستطيع الكنيسة ان تتسامح بها لِما خوَّلها من السلطة المسيح القائل لبطرس وخلفائهِ « مهما حللتهُ على الارض يكون محلولاً في السماوات » لكنَّ هذه الغفرانات لا تُنال الَّا على شروط شرحناها في مقالتنا عن اليوبيل (راجع هذه المقالة في المشرق ٤ : ١٧٩–١٨٨) وفيها تجد كل ما يختص بالغفارين ملخَّصاً

ل . ش